(٧٠) سُورة المعارج مكية
وآياتها أربع وأربعون

● **سورة** المعارج من السور المكية ، التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية ، وقد تناولت الحديث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وما فيها من سعادة وشقاوة ، وراحةٍ ونصب ، وعن أحوال المؤمنين والمجرمين ، في دارِ الجزاء والخلود ، والمحورُ الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن كفار مكة وإنكارهم للبعث والنشور ، واستهزاؤهم بدعوة الرسول ﷺ .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالحديث عن طغيان أهل مكة ، وعن تمردهم على طاعة الرسول ﷺ ، واستهزائهم بالإنذار والعذاب الذي خُوفوا به ، وذكرت مثلاً لطغيانهم بما طلبه بعض صناديدهم وهو « النضر بن الحارث » حين دعا أن يُنزل الله عليه وعلى قومه العذاب العاجل ، ليستمتعوا به في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك مكابرةً في الجحود والعناد ﴿سأل سائلٌ بعذابٍ واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذي المعارج ..﴾ الآيات

● **ثم تناولت** الحديث عن المجرمين في ذلك اليوم الفظيع الذي تتفطر فيه السموات ، وتتطاير فيه الجبال فتصير كالصوف الملوَّن ألواناً غريبة ﴿يوم تكون السماءُ كالمُهْل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميمٌ حميماً . يبصَّرونهم يودُّ المجرم لو يفتدي من عذابِ يومئذٍ ببنيه .

وصاحبته وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ .

● **ثم استطردت** السورة إلى ذكر طبيعة الإنسان ، فإنه يجزع عند الشدة ، ويبطر عند النعمة ، فيمنع حقَّ الفقير والمسكين ﴿إنَّ الإنسان خُلق هلوعاً . إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً . وإذا مسَّه الخير منوعاً﴾ .

● **ثم تحدثت** عن المؤمنين وما اتصفوا به من جلائل الصفات ، وفضائل الأخلاق ، وبينت ما أعدَّ الله لهم من عظيم الأجر في جنات الخلد والنعيم ﴿ إلاَّ المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ الآيات .

● **ثم تناولت** الكفرة المستهزئين بالرسول ، الطامعين في دخول جنات النعيم ﴿ فما للذين كفروا قِبَلَكَ مهطعين . عن اليمين وعن الشمال عزين . أيطمع كل امرئٍ منهم أن يُدخل جنة نعيم . كلاَّ إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ .

● **وختمت السورة** الكريمة بالقسم الجليل برب العالمين على أن البعث والجزاء حقٌ لا ريب فيه ، وعلى أن الله تعالى قادر على أن يخلق خيراً منهم « فلا أُقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدِّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين .. إلى قوله خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون » .

سورة المعارج

[٩٧١] أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾[(١)] قال هو للنضر بن الحارث قال: **«اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء»**. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾[(٢)] قال نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: **«اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك»** الآية وكان عذابه يوم بدر.

[٩٧٢] ك.. وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال نزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾[(٣)] فقال الناس: على من يقع العذاب فأنزل الله: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢﴾[(٤)].

* * *

---

[٩٧١] (١) سورة المعارج: الآية (١).

(٢) سورة المعارج: الآية (١).

[٩٧٢] (٣) سورة المعارج: الآية (١).

(٤) سورة المعارج: الآية (٢).

سورة المعارج

اربعون واربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

اعلم أن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ﴾ فيه قراءتان منهم من قرأه بالهمزة، ومنهم من قرأه بغير همزة، أما الأولون وهم الجمهور فهذه القراءة تحتمل وجوهًا من التفسير: الأول: أن النضر بن الحارث لما قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ أي دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] قال ابن الأنباري: وعلى هذا القول تقدير الباء الإسقاط، وتأويل الآية: سأل سائل عذابًا واقعًا، فأكد بالباء كقوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] وقال صاحب الكشاف لما كان ﴿سَأَلَ﴾ معناه هاهنا دعا لا جرم عدى تعديته كأنه قال دعا داع بعذاب من الله الثاني: قال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدًا ﷺ وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض: سلوا محمدًا لمن هذا العذاب وبمن يقع فأخبره الله عنه بقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال ابن الأنباري: والتأويل على هذا القول: سأل سائل عن عذاب والباء بمعنى عن، كقوله:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ(١)

وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال صاحب (الكشاف): ﴿سَأَلَ﴾ على هذا الوجه في تقدير عنى واهتم كأنه قيل: اهتم مهتم بعذاب واقع، الثالث: قال بعضهم: هذا السائل هو رسول الله استعجل بعذاب الكافرين، فبيَّن الله أن هذا العذاب واقع بهم، فلا دافع له قالوا: والذي يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] وهذا يدل على أن ذلك السائل هو الذي أمره بالصبر الجميل، أما القراءة الثانية وهي (سَالَ) بغير همز

---

(١) هذا البيت لعلقمة الفحل وهو: علقمة بن عَبدة بن ناشرة بن قيس من بني تميم؟ - ٢٠ق. هـ/ ؟ - ٦٠٣م. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرئ القيس وله معه مساجلات. وأسر الحارث ابن أبي شمر الغساني أخًا له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه.

فلها وجهان: أحدهما: أنه أراد ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزة فخفف وقلب قال:

سَالَتْ هُذَيلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ (١)

والوجه الثاني: أن يكون ذلك من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس (سال سيل) والسيل مصدر في معنى السائل، كالغَوْر بمعنى الغائر، والمعنى اندفع عليهم واد بعذاب، وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد قالا: سال واد من أودية جهنم بعذاب واقع. أما ﴿سَآئِلٌ﴾، فقد اتفقوا على أنه لا يجوز فيه غير الهمز لأنه إن كان من سأل المهموز فهو بالهمز، وإن لم يكن من المهموز كان بالهمز أيضًا نحو قائل وخائف إلا أنك إن شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين، وقوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [المعارج: ١-٢] فيه وجهان، وذلك لأنا إن فسرنا قوله: ﴿سَأَلَ﴾ بما ذكرنا من أن النضر طلب العذاب، كان المعنى أنه طلب طالب عذابًا هو واقع لا محالة سواء طلب أو لم يطلب، وذلك لأن ذلك العذاب نازل للكافرين في الآخرة واقع بهم لا يدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر في الدنيا لأنه قتل يوم بدر، وهو المراد من قوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ وأما إذا فسرناه بالوجه الثاني وهو أنهم سألوا الرسول عليه السلام، أن هذا العذاب بمن ينزل فأجاب الله تعالى عنه بأنه واقع للكافرين، والقول الأول هو السديد، وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان الأول: أن يكون تقدير الآية بعذاب واقع من الله للكافرين، الثاني: أن يكون التقدير ليس له دافع من الله، أي ليس لذلك العذاب الصادر من الله دافع من جهته، فإنه إذا أوجبت الحكمة وقوعه امتنع أن لا يفعله الله وقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ المعارج جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] والمفسرون ذكروا فيه وجوهًا: أحدها: قال ابن عباس في رواية الكلبي: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، أي ذي السموات، وسماها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها، وثانيها: قال قتادة: ذي الفواضل والنعم وذلك لأن لأياديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، وثالثها: أن المعارج هي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة، وعندي فيه وجه رابع: وهو أن هذه السموات كما أنها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر، فكذا الأرواح الملكية مختلفة في القوة والضعف والكمال والنقص وكثرة المعارف الإلهية وقوتها وشدة القوة على تدبير هذا العالم وضعف تلك القوة، ولعل نور إنعام الله وأثر فيض رحمته لا يصل إلى هذا العالم إلا بواسطة تلك الأرواح، إما على سبيل العادة أولا كذلك على ما قال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]، ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. فالمراد بقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ الإشارة إلى تلك الأرواح المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم إليها وكالمنازل لنزول أثر الرحمة من ذلك العالم إلى ما هاهنا.

---

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت وتقدمت ترجمته.

قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾

وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن عادة الله تعالى في القرآن أنه متى ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف أفرد الروح بعدهم بالذكر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] وهذا يقتضي أن الروح أعظم مِنَ الملائكة قدرًا، ثم هاهنا دقيقة وهي أنه تعالى ذكر عند العروج الملائكة أولاً والروح ثانيًا، كما في هذه الآية، وذكر عند القيام الروح أولاً والملائكة ثانيًا، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ وهذا يقتضي كون الروح أولاً في درجة النزول وآخرًا في درجة الصعود، وعند هذا قال بعض المكاشفين: إن الروح نور عظيم هو أقرب الأنوار إلى جلال الله، ومنه تتشعب أرواح سائر الملائكة والبشر في آخر درجات منازل الأرواح، وبين الطرفين معارج مراتب الأرواح الملكية ومدارج منازل الأنوار القدسية، ولا يعلم كميتها إلا الله، وأما ظاهر قول المتكلمين وهو أن الروح هو جبريل عليه السلام فقد قررنا هذه المسألة في تفسير قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

المسألة الثانية: احتج القائلون بأن الله في مكان، إما في العرش أو فوقه بهذه الآية من وجهين: الأول: أن الآية دلت على أن الله تعالى موصوف بأنه ذو المعارج وهو إنما يكون كذلك لو كان في جهة فوق، والثاني: قوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فبيَّن أن عروج الملائكة وصعودهم إليه، وذلك يقتضي كونه تعالى في جهة فوق، والجواب: لما دلت الدلائل على امتناع كونه في المكان والجهة ثبت أنه لا بد من التأويل، فأما وصف الله بأنه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه، وأما حرف (إِلَى) في قوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فليس المراد منه المكان بل المراد انتهاء الأمور إلى مراده كقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]المراد الانتهاء إلى موضع العز والكرامة كقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]ويكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها.

المسألة الثالثة: الأكثرون على أن قوله: ﴿ فِى يَوْمٍ﴾ من صلة قوله ﴿ تَعْرُجُ﴾، أي يحصل العروج في مثل هذا اليوم، وقال مقاتل: بل هذا من صلة قوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: ١]وعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعلى التقدير الأول، فذلك اليوم، إما أن يكون في الآخرة أو في الدنيا، وعلى تقدير أن يكون في الآخرة، فذلك الطول إما أن يكون واقعًا، وإما أن يكون مقدرًا فهذه هي الوجوه التي تحملها هذه الآية، ونحن نذكر تفصيلها القول الأول: هو أن معنى الآية أن ذلك العروج يقع في يوم من أيام الآخرة طوله خمسون ألف سنة، وهو يوم القيامة، وهذا قول

الحسن: قال وليس يعني أن مقدار طوله هذا فقط، إذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جائز، بل المراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا.

ثم بعد ذلك يستقر أهل النار في دركات النيران نعوذ بالله منها. واعلم أن هذا الطول إنما يكون في حق الكافر، أما في حق المؤمن فلا، والدليل عليه الآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] واتفقوا على (أن) ذلك (المقيل والمستقر) هو الجنة وأما الخبر فما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ ما طول هذا اليوم؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَلَيْهِ أَخَفَّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا»(١) ومن الناس من قال: إن ذلك الموقف وإن طال فهو يكون سببًا لمزيد السرور والراحة لأهل الجنة، ويكون سببًا لمزيد الحزن والغم لأهل النار، الجواب عنه أن الآخرة دار جزاء فلا بد من أن يعجل للمثابين ثوابهم، ودار الثواب هي الجنة لا الموقف، فإذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار، القول الثاني: هو أن هذه المدة واقعة في الآخرة، لكن على سبيل التقدير لا على سبيل التحقق، والمعنى أنه لو اشتغل بذلك القضاء والحكومة أعقل الخلق وأذكاهم لبقي فيه خمسين ألف سنة ثم إنه تعالى يتمم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، وأيضًا الملائكة يعرجون إلى مواضع لو أراد واحد من أهل الدنيا أن يصعد إليها لبقي في ذلك الصعود خمسين ألف سنة ثم إنهم يصعدون إليها في ساعة قليلة، وهذا قول وهب وجماعة من المفسرين، القول الثالث: وهو قول أبي مسلم: إن هذا اليوم هو يوم الدنيا كلها من أول ما خلق الله إلى آخر الفناء، فبين تعالى أنه لا بد في يوم الدنيا من عروج الملائكة ونزولهم، وهذا اليوم مقدر بخمسين ألف سنة، ثم لا يلزم على هذا أن يصير وقت القيامة معلومًا، لأنا لا ندري كم مضى وكم بقي، القول الرابع: تقدير الآية: سأل سائل بعذاب واقع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يحتمل أن يكون المراد منه استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار، ويحتمل أن يكون المراد تقدير مدته، وعلى هذا فليس المراد تقدير العذاب بهذا المقدار، بل المراد التنبيه على طول مدة العذاب، ويحتمل أيضًا أن العذاب الذي سأله ذلك السائل يكون مقدرًا بهذه المدة، ثم إنه تعالى ينقله إلى نوع آخر من العذاب بعد ذلك، فإن قيل: روى ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن هذه الآية، وعن قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيام سماها الله تعالى هو أعلم بها كيف تكون، وأكره أن أقول فيها مالا أعلم، فإن قيل: فما قولكم في التوفيق بين هاتين الآيتين؟ قلنا: قال وهب في الجواب عن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥) رقم (١١٧٣٥)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٧) رقم (١٣٩٠) قال الهيثمي (١٠/ ٣٣٧): إسناده حسن على ضعف في روايته. وابن حبان (١٦/ ٣٢٩) رقم (٧٣٣٤) وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٢٤) من حديث أبي سعيد.

هذا ما بين أسفل العالم إلى أعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا إلى الأرض مسيرة ألف سنة، لأن عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وما بين أسفل السماء إلى قرار الأرض خمسمائة أخرى، فقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يريد من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه إلى سماء الدنيا، ومقدار ألف سنة لو صعدوا إلى أعالي العرش.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن هذا متعلق بسأل سائل، لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه، وكذلك من يسأل عن العذاب لمن هو فإنما يسأل على طريق التعنت من كفار مكة، ومن قرأ: (سَالَ سائلٌ) فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد جاء وقت الانتقام.

المسألة الثانية: قال الكلبي: هذه الآية نزلت قبل أن يؤمر الرسول بالقتال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: الضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: الأول: أنه عائد إلى العذاب الواقع، والثاني: أنه عائد إلى: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] أي يستبعدونه على جهة الإحالة ونحن نراه قريبًا هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر. فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان، وبالقريب القريب منه

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ **فيه مسألتان:**

المسألة الأولى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ منصوب بماذا؟ فيه وجوه: أحدها: بقريبًا، والتقدير: ونراه قريبًا، يوم تكون السماء كالمهل، أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم، وثانيها: التقدير: سأل سائل بعذاب واقع يوم تكون السماء كالمهل، والثالث: التقدير يوم تكون السماء كالمهل كان كذا وكذا، والرابع: أن يكون بدلاً من ﴿يَوْمٍ﴾، والتقدير سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم تكون السماء كالمهل.

المسألة الثانية: أنه ذكر لذلك اليوم صفات:

الصفة الأولى: أن السماء تكون فيه كالمهل وذكرنا تفسير المهل عند قوله: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] قال ابن عباس: كدردى الزيت، وروى عنه عطاء: كعكر القطران، وقال الحسن: مثل الفضة إذا أذيبت، وهو قول ابن مسعود.

الصفة الثانية: أن تكون الجبال فيه كالعهن، ومعنى العهن في اللغة: الصوف المصبوغ ألوانًا،

وإنما وقع التشبيه به، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

الصفة الثالثة: قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: قال ابن عباس: الحميم القريب الذي يعصب له، وعدم السؤال إنما كان لاشتغال كل أحد بنفسه، وهو كقوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[الحج: ٢] وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ إلى قوله ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٤- ٣٧] ثم في الآية وجوه أحدها: أن يكون التقدير: لا يسأل حميم عن حميمه فحذف الجار وأوصل الفعل، الثاني: لا يسأل حميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه، لأن لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام، الثالث: لا يسأل حميم حميمًا شفاعة، ولا يسأل حميم حميمًا إحسانًا إليه ولا رفقًا به.

المسألة الثانية: قرأ ابن كثير: (ولا يُسْئل) بضم الياء، والمعنى لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته، كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه، وهذا أيضًا على حذف الجار قال الفراء: أي لا يقال لحميم أين حميمك ولست أحب هذه القراءة لأنها مخالفة لما أجمع عليه القراء.

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال: بصرت به أبصر، قال تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾[طه: ٩٦] ويقال: بصرت زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت: بصرني زيد كذا فإذا أثبت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت: بصرني زيدًا، فهذا هو معنى يبصرونهم، وإنما جمع فقيل: يبصرونهم لأن الحميم وإن كان مفردًا في اللفظ فالمراد به الكثرة والجميع والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[الشعراء: ١٠٠] ومعنى يبصرونهم: يعرفونهم، أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه، وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه، فإن قيل: ما موضع يبصرونهم؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أنه متعلق بما قبله كأنه لما قال: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[المعارج: ١٠] قيل: لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لاشتغالهم بأنفسهم لا يتمكنون من تساؤلهم، الثاني: أنه متعلق بما بعده، والمعنى أن المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود أحدهم أن يفدي نفسه لكل ما يملكه، فإن الإنسان إذا كان في البلاء الشديد ثم رآه عدوه على تلك الحالة كان ذلك في نهاية الشدة عليه.

الصفة الرابعة: قوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: المجرم هو الكافر، وقيل: يتناول كل مذنب.

المسألة الثانية: قرئ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بالجر والفتح على البناء لسبب الإضافة إلى غير متمكن،

وقرئ أيضًا: (من عَذَابٍ يَومَئذٍ) بتنوين (عَذَابٍ) ونصب (يَومَئذ) وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فصيلة الرجل، أقاربه الأقربون الذين فصل عنهم وينتهي إليهم، لأن المراد من الفصيلة المفصولة، لأن الولد يكون منفصلاً من الأبوين. قال عليه السلام: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي» فلما كان هو مفصولاً منهما، كانا أيضًا مفصولين منه، فسميا فصيلة لهذا السبب، وكان يقال للعباس: فصيلة النبي ﷺ، لأن العم قائم مقام الأب، وأما قوله: ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ فالمعنى تضمه انتماء إليها في النسب أو تمسكًا بها في النوائب.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ فيه وجهان: الأول: أنه معطوف على ﴿يَفْتَدِى﴾ والمعنى: يود المجرم لو يفتدي بهذه الأشياء ثم ينجيه، والثاني: أنه متعلق بقوله: ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والتقدير: يود لو يفتدي بمن في الأرض ثم ينجيه، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء ببنيه، وعلى أنه لا ينفعه ذلك الافتداء، ولا ينجيه من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا﴾ وفيه وجهان: الأول: أن هذا الضمير للنار، ولم يجر لها ذكر إلا أن ذكر العذاب دل عليها والثاني: يجوز أن يكون ضمير القصة، ولظى من أسماء النار. قال الليث: اللظى: اللهب الخالص، يقال: لظت النار تلظَّى لظى، وتلظت تلظيًا، ومنه قوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[الليل: ١٤] ولظى عَلَم للنار منقول من اللظى، وهو معرفة لا ينصرف، فلذلك لم ينون، وقوله: (نَزَّاعَةٌ) مرفوعة، وفي سبب هذا الارتفاع وجوه: **الأول:** أن تجعل الهاء في أنها عماد، أو تجعل لظى اسم إن، ونزاعة خبر إن، كأنه قيل: إن لظى نزاعة. **والثاني:** أن تجعل الهاء ضمير القصة، ولظى مبتدأ، ونزاعة خبرًا، وتجعل الجملة خبرًا عن ضمير القصة، والتقدير: إن القصة لظى نزاعة للشوى. **والثالث:** أن ترتفع على الذم، والتقدير: إنها لظى وهي نزاعة للشوى، وهذا قول الأخفش والفراء والزجاج. وأما قراءة النصب ففيها ثلاثة أوجه أحدها: قال الزجاج: إنها حال مؤكدة، كما قال: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[فاطر: ٣١] وكما يقول: أنا زيد معروفًا، اعترض أبو علي الفارسي على هذا وقال: حمله على الحال بعيد، لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال، فإن قلت في قوله: ﴿لَظَىٰ﴾ معنى التلظي والتلهب، فهذا لا يستقيم، لأن لظى اسم علم لماهية مخصوصة، والماهية لا يمكن تقييدها بالأحوال، إنما الذي يمكن تقييده بالأحوال هو الأفعال، فلا يمكن أن يقال: رجلاً حال كونه عالمًا، ويمكن أن يقال: رأيت رجلاً حال كونه عالمًا، وثانيها: أن تكون لظى اسمًا لنار تتلظى تلظيًا شديدًا، فيكون هذا الفعل ناصبًا لقوله: ﴿نَزَّاعَةً﴾ وثالثها: أن تكون منصوبة على الاختصاص، والتقدير: إنها لظى أعنيها نزاعة للشوى، ولم تمنع.

المسألة الثالثة: ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ الأطراف، وهي اليدان والرجلان، ويقال للرامي: إذا لم يصب المقتل أشوى، أي أصاب الشَّوى، والشوى أيضًا جلد الرأس، واحدتها شواة ومنه قول الأعشى:

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شَيْبًا شَوَاتُهُ (١)

هذا قول أهل اللغة، قال مقاتل: تنزع النار الهامة والأطراف فلا تترك لحمًا ولا جلدًا إلا أحرقته، وقال سعيد بن جبير: العصب والعقب ولحم الساقين واليدين، وقال ثابت البناني: لمكارم وجه بني آدم. واعلم أن النار إذا أفنت هذه الأعضاء، فالله تعالى يعيدها مرة أخرى، كما قال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: اختلفوا في أن لظى كيف تدعو الكافر، فذكروا وجوهًا: أحدها: أنها تدعوهم بلسان الحال كما قيل: سل الأرض من أشق أنهارك، وغرس أشجارك؟ فإن لم تجبك جؤارًا، أجابتك اعتبارًا فهاهنا لما كان مرجع كل واحد من الكفار إلى زاوية من زوايا جهنم، كأن تلك المواضع تدعوهم وتحضرهم، وثانيها: أن الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحًا: إلي يا كافر، إلي يا منافق، ثم تلتقطهم التقاط الحب، وثالثها: المراد أن زبانية النار يدعون فأضيف ذلك الدعاء إلى النار بحذف المضاف، ورابعها: تدعو: تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك.

وقوله: ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني من أدبر عن الطاعة وتولى عن الإيمان ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي جعله في وعاء وكنزه، ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيها فقوله: ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله وطاعته.

وقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ إشارة إلى حب الدنيا، فجمع إشارة إلى الحرص، وأوعى إشارة إلى الأمل، ولا شك أن مجامع آفات الدين ليست إلا هذه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: فيه مسائل:

المسألة الأولى: قال بعضهم: المراد بالإنسان هاهنا الكافر، وقال آخرون: بل هو على عمومه، بدليل أنه استثنى منه ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢].

المسألة الثانية: يقال: هلع الرجل يَهْلَع هَلَعًا وهَلَاعًا فهو هالع وهلوع، وهو شدة الحرص وقلة الصبر، يقال: جاع فهلع، وقال الفراء: الهَلُوع الضجور، وقال المبرد: الهلع الضجر، يقال: نعوذ بالله من الهلع عند منازلة الأقران، وعن أحمد بن يحيى، قال لي محمد بن

(١) تقدمت ترجمة الأعشي.

عبدالله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا تفسير أبين من تفسيره، هو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس.

المسألة الثالثة: قال القاضي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ نظير لقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وليس المراد أنه مخلوق على هذا الوصف، والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه والله تعالى لا يذم فعله، ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة، ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها. واعلم أن الهلع لفظ واقع على أمرين: أحدهما: الحالة النفسانية التي لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والتضرع، والثاني: تلك الأفعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية، أما تلك الحالة النفسانية فلا شك أنها تحدث بخلق الله تعالى، لأن من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه إزالة تلك الحالة من نفسه، ومن خلق شجاعًا بطلاً لا يمكنه إزالة تلك الحالة عن نفسه بل الأفعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والإقدام عليها فهي أمور اختيارية، أما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المراد من الشر والخير الفقر والغنى أو المرض والصحة، فالمعنى أنه إذا صار فقيرًا أو مريضًا أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنيًّا أو صحيحًا أخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت إلى الناس، فإن قيل: حاصل هذا الكلام أنه نفور عن المضار طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه؟ قلنا: إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانية العاجلة، وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولاً بأحوال الآخرة، فإذا وقع في مرض أو فقر وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضيًا به، لعلمه أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية، واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفًا بثمانية أشياء:

أولها قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ فإن قيل: قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها، وتارة بأمور متراخية عنها، أما الأمور السابقة فهو أن يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول أوقاتها، ومتعلق بالوضوء، وستر العورة وطلب القبلة، ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة،

وفي المساجد المباركة، وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة، وأما الأمور المقارنة فهو أن لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة، فاهمًا للأذكار، مطلعًا على حكم الصلاة، وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب، وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بعدها بشيء من المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

وثانيها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ اختلفوا في الحق المعلوم: فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين: إنه الزكاة المفروضة، قال ابن عباس: من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق قالوا: والدليل على أن المراد به الزكاة المفروضة وجهان: الأول: أن الحق المعلوم المقدر هو الزكاة، أما الصدقة فهي غير مقدرة، الثاني: وهو أنه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثناء ممن ذمه، فدل على أن الذي لا يعطى هذا الحق يكون مذمومًا، ولا حق على هذه الصفة إلا الزكاة، وقال آخرون: هذا الحق سوى الزكاة، وهو يكون على طريق الندب والاستحباب، وهذا قول مجاهد وعطاء والنخعي. وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ يعني الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم.

وثالثها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يؤمنون بالبعث والحشر.

ورابعها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ والإشفاق يكون من أمرين، إما الخوف من ترك الواجبات أو الخوف من الإقدام على المحظورات، وهذا كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وكقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥] ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذرًا من التقصير حريصًا على القيام بما كلف به من علم وعمل، ثم إنه تعالى أكد ذلك الخوف فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي، واحترز عن المحظورات بالكلية، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم يكون خائفًا أبدًا. وقد مر تفسيره في سورة المؤمنين.

وخامسها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾

وسادسها قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وقد تقدم تفسيره أيضًا.

وسابعها قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قرئ بشهادتهم و﴿بِشَهَادَاتِهِمْ﴾، قال الواحدي: والإفراد أولى لأنه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف لجمع كقوله ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات، وكثرت ضروبها فحسن الجمع من جهة الاختلاف، وأكثر المفسرين قالوا: يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق، ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الأمانات إلا أنه تعالى خصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها، وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له.

وثامنها قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وقد تقدم تفسيره.

ثم وعد هؤلاء وقال: ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

ثم ذكر بعده ما يتعلق بالكفار فقال: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ المهطع: المسرع وقيل: الماد عنقه، وأنشدوا فيه:

بِمَكَّةَ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ ... بِمَكَّةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ[1]

والوجهان متقاربان، روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون ويستهزئون بكلامه، ويقولون: إذا دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد: فلندخلنها قبلهم، فنزلت هذه الآية فقوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين نحوك مادين أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، وقال أبو مسلم: ظاهر الآية يدل على أنهم هم المنافقون، فهم الذين كانوا عنده وإسراعهم المذكور هو الإسراع في الكفر كقوله: ﴿لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].

ثم قال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ وذلك لأنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين، ومعنى: عزين: جماعات في تفرقة، واحدها عِزَة، وهي العصبة من الناس، قال الأزهري: وأصلها من

---

(١) هذا البيت للشاعر يزيد بن مفرغ الحميري وهو: يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري؟ - ٦٩ هـ/ ؟ - ٦٨٩ م من أصل يمني من قبيلة يحصب، كانت أسرته في حلف مع قريش ولد في البصرة، ونشأ بها، كان يعرف العربية والفارسية، بدأ اتصاله بالبلاط نديمًا لسعيد بن عثمان بن عفان، وأصبح بعد ذلك من شعراء البلاط اشتهر بشعره الساخر من عبّاد وعبيد الله بن زياد بن أبيه. وله شعر في المدح والغزل.

قولهم: عزا فلان نفسه إلى بني فلان يعزوها عزوًا إذا انتهى إليهم، والاسم العزوة وكان العزة كل جماعة اعتزوها إلى أمر واحد، واعلم أن هذا من المنقوص الذي جاز جمعه بالواو والنون عوضًا من المحذوف وأصلها عزوة، والكلام في هذه كالكلام في ﴿عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وقد تقدم، وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهط.

قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم قال: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: والنعيم ضد البؤس، والمعنى أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ وهو ردع لهم عن ذلك الطمع الفاسد.

ثم قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: الغرض من هذا الاستدلال على صحة البعث، كأنه قال: لما قدرت على أن أخلقكم من النطفة، وجب أن أكون قادرًا على بعثكم.

المسألة الثانية: ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهًا: أحدها: أنه لما احتج على صحة البعث دل على أنهم كانوا منكرين للبعث، فكأنه قيل لهم كلا إنكم منكرون للبعث، فمن أين تطمعون في دخول الجنة، وثانيها: أن المستهزئين كانوا يستحقرون المؤمنين، فقال تعالى: هؤلاء المستهزئون مخلوقون مما خلقوا، فكيف يليق بهم هذا الاحتقار، وثالثها: أنهم مخلوقون من هذه الأشياء المستقذرة، فلو لم يتصفوا بالإيمان والمعرفة، فكيف يليق بالحكيم إدخالهم الجنة.

ثم قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه أو مشرق كل كوكب ومغربه، أو المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته أو المراد أنواع الهدايات والخذلانات ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ وهو مفسر في قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ [الواقعة: ٦٠-٦١] وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ مفسر في آخر سورة والطور، واختلفوا في أن ما وصف الله نفسه بالقدرة عليه من ذلك هل خرج إلى الفعل أم لا؟ فقال بعضهم: بدل الله بهم الأنصار والمهاجرين فإن حالتهم في نصرة الرسول مشهورة، وقال آخرون: بل بدل الله كفر بعضهم بالإيمان، وقال بعضهم: لم يقع هذا التبديل، فإنهم أو أكثرهم بقوا على جملة كفرهم إلى أن ماتوا، وإنما كان يصح وقوع التبديل بهم لو أهلكوا، لأن مراده تعالى بقوله: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾

بطريق الإهلاك، فإذا لم يحصل ذلك فكيف يحكم بأن ذلك قد وقع، وإنما هدد تعالى القوم بذلك لكي يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

ثم ذكر تعالى ذلك اليوم الذي تقدم ذكره فقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ وهو كقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

اعلم أن في ﴿نُصُبٍ﴾ ثلاث قراءات أحدها: وهي قراءة الجمهور (نَصْبٍ) بفتح النون والنَّصْب كل شيء نُصِب والمعنى كأنهم إلى علم لهم يستبقون، والقراءة الثانية: (نُصْب) بضم النون وسكون الصاد وفيه وجهان أحدهما: النَّصْب والنُّصْب لغتان مثل الضَّعْف والضُّعْف، وثانيهما: أن يكون جمع نَصْب كشقف جمع شقف والقراءة الثالثة: (نُصُب) بضم النون والصاد، وفيه وجهان أحدهما: أن يكون النصب والنصب كلاهما يكونان جمع نصب كأُسُد وأُسْد جمع أَسَد، وثانيهما: أن يكون المراد من النصب الأنصاب وهي الأشياء التي تنصب فتعبد من دون الله كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون، ومعنى الآية على هذا الوجه أنهم يوم يخرجون من الأجداث يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصارهم، وبقية السورة معلومة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة المعارج

وهي مَكِّيةٌ باتفاق[1]، وهي أربعٌ وأربعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامر: «سال سائل» بغير همزة. الباقون بالهمز[2]. فَمَن هَمَزَ فهو من السؤال. والباءُ يجوز أنْ تكونَ زائدة، ويجوز أنْ تكون بمعنى عن. والسؤال بمعنى الدعاء، أي: دعا داعٍ بعذاب؛ عن ابن عباس[3] وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب. ويقال: دعوتُ زيدًا، أي: التمست إحضارَه. أي: التَمَسَ مُلتمِسٌ عذاباً للكافرين؛ وهو واقعٌ بهم لا محالةَ يوم القيامة. وعلى هذا فالباء زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] فهي تأكيد. أي: سأل سائلٌ عذابًا واقعًا[4].

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: على الكافرين. وهو النضرُ بن الحارث حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فنزل سؤالُه، وقُتل يومَ بدرٍ صبرًا هو وعقبةُ بن أبي مُعَيط؛ لم يُقْتل صَبْرًا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٧.

(٢) السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤.

(٣) أخرج قول ابن عباس بنحوه الطبريُّ ٢٣/ ٢٤٨.

(٤) الكلام بنحوه في الوسيط ٤/ ٣٥٠.

غيرُهما؛ قاله ابن عباس ومجاهد(١).

وقيل: إنَّ السائلَ هنا هو الحارثُ بن النعمان الفِهريّ. وذلك أنَّه لمَّا بلغَه قول النبيِّ ﷺ في عليٍّ ؓ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» ركبَ ناقته، فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح(٢)، ثم قال: يا محمد، أَمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسولُ الله، فقبلناه منك، وأنْ نصلِّي خمساً، فقبلناه منك، ونُزكِّي أموالنا، فقبلناه منك، وأنْ نصومَ شهر رمضان في كلِّ عام، فقبلناه منك، وأنْ نَحُجَّ، فقبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى فَضَّلْتَ ابنَ عمِّك علينا! أفهذا شيءٌ منك أم من الله؟! فقال النبيُّ ﷺ: «والله الذي لا إله إلَّا هو، ما هو إلَّا من الله» فولَّى الحارثُ وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًّا، فأمطرْ علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم. فوالله ما وصلَ إلى ناقته حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتلَه؛ فنزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ الآية(٣).

وقيل: إنَّ السائلَ هنا أبو جهل، وهو القائلُ لذلك، قاله الربيع. وقيل: إنَّه قولُ جماعةٍ من كفار قريش(٤). وقيل: هو نوحٌ عليه السلام سأل العذابَ على الكافرين. وقيل: هو رسولُ الله ﷺ أي: دعا عليه الصلاة والسلام بالعقاب، وطلب أنْ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢ دون نسبة، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ٥٠٢ عن سعيد بن جبير. ونسبه لابن عباس ومجاهد الماورديُّ في النكت والعيون ٦/ ٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٥٧.

(٢) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منىً أقرب. وهو المحصب، وهو خيفُ بني كنانة. معجم البلدان ١/ ٧٤.

(٣) النكارة في الخبر ظاهرة، و أخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٥٣ - ٥٤، وفي إسناده انقطاع، ومن لم نعرفهم، وذكره المناوي في فيض القدير ٦/ ٣١٨ وعزاه للثعلبي؛ قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٧٦: الثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. اهـ. وقال الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٥٥: وأنت تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله وجهه كان في غدير خم وذلك في أواخر سني الهجرة فلا يكون ما نزل مكياً على المشهور في تفسيره، وقد سمعت ما قيل في مكية هذه السورة. اهـ.

وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» سلف ١/ ٣٩٨.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

يُوْقِعه اللهُ بالكفَّار[١]؛ وهو واقعٌ بهم لا محالة. وامتدَّ الكلامُ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا تستعجل فإنَّه قريب.

وإذا كانت الباء بمعنى عن ـ وهو قول قتادة[٢] ـ فكأنَّ سائلًا سألَ عن العذاب بمن يقع، أو متى يقع. قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] أي: سلْ عنه. وقال علقمة[٣]:

فإنْ تسألوني بالنِّساء فإنَّني ... بصيرٌ بأدواء النِّساء طبيبُ

أي: عن النساء. ويقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. فالمعنى: سألوا بمن يقع العذاب ولمن يكون، فقال الله: «لِلْكَافِرِينَ»[٤].

قال أبو علي وغيره: وإذا كان من السؤال، فأصلُه أنْ يتعدَّى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصارُ على أحدهما. وإذا اقتصر على أحدهما جاز أنْ يتعدَّى إليه بحرف جَرٍّ؛ فيكونُ التقديرُ: سأل سائلٌ النبيَّ ﷺ أو المسلمينَ بعذابٍ أو عن عذاب[٥].

ومن قرأ بغير همزٍ فله وجهان: أحدهما: أنَّه لغةٌ في السؤال، وهي لغةُ قريش؛ تقول العرب: سال يسال؛ مثل نال ينال وخاف يخاف. والثاني: أنْ يكون من السيلان؛ ويؤيده قراءةُ ابن عباس «سال سَيْل»[٦]. قال عبد الرحمن بن زيد: سال وادٍ من أودية جهنم يقال له: سائل[٧]؛ وهو قول زيد بن ثابت[٨]. قال الثعلبي: والأوَّل

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٥٦ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩.

(٣) في ديوانه ص٣٥، وسلف ٢/ ٢٦١.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦.

(٦) الكشاف ٤/ ١٥٦، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨. وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢٢٠، وقال: وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨.

أحسن؛ كقول الأعشى في تخفيف الهمزة:

سـالـتـانـي الـطـلاق إذ رأتـانـي قَـلَّ مـا لـي قـد جـئـتـمـانـي بـنُـكْـرِ[(١)]

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسألُ عن فلانٍ وبفلان. وقد تُخفَّفُ همزته فيقال: سال يَسالُ. وقال:

ومُـرْهَـقٍ سـالَ إمـتـاعًـا بـأُصْـدَتِـه لم يَسْتَعِنْ[(٢)] وحَوامي الموتِ تغشاهُ[(٣)]

المُرْهَق: الذي أُدرِكَ ليُقتل. والأُصْدَةُ بالضمِّ: قميصٌ صغيرٌ يَلبسُ تحت الثوب[(٤)].

المهدويُّ: من قرأ: «سال»؛ جاز أنْ يكون خفَّف الهمزة بإبدالها ألفًا، وهو البدل على غير قياس. وجاز أنْ تكونَ الألفُ منقلبةً عن واوٍ على لغة من قال: سِلتُ أسال؛ كخفت أخاف[(٥)]. النحاس[(٦)]: حكى سيبويه: سِلت أسال؛ مثل: خِفتُ أخاف؛ بمعنى سألت. وأنشد[(٧)]:

سـالَـتْ هُـذَيْـلٌ رسـولَ الـلـه فـاحـشـةً ضَلَّتْ هذيلٌ بما سالتْ ولم تُصِبِ[(٨)]

ويقال: هما يتساولان. المهدويُّ: وجاز أن تكونَ مبدلةً من ياء، من سال يسيل. ويكون سايل واديًا في جهنم[(٩)]؛ فهمزةُ سايل على القول الأوَّل أصليةٌ، وعلى الثاني

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل، وقد سلف ١٦/ ٣٢٦ .

(٢) أي : يحلق عانته . الصحاح (عون) .

(٣) الصحاح (سال) . وذكره في اللسان (رهق) وقال : قال ابن بري : أنشده أبو علي الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلاً شريفاً ارتُثَّ في بعض المعارك ، فسألهم أن يمتعوه بأُصْدته .

(٤) الصحاح (رهق) (أصد) .

(٥) وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦ .

(٦) في إعراب القرآن ٥/ ٢٧ بنحوه مختصراً.

(٧) في الكتاب ٣/ ٤٦٨ .

(٨) البيت لحسان بن ثابت ﷺ ، وهو في ديوانه ص٣٤ ،وفيه وفي الكتاب : بماجاءت. بدل : بما سالت .

(٩) سلف قريباً أن هذا القول ضعيف.

بدلٌ من واو، وعلى الثالث بدلٌ من ياء .

القشيريُّ: وسائلٌ مهموز؛ لأنَّه إنْ كان من سأل بالهمز، فهو مهموز، وإنْ كان من غير الهمز، كان مهموزًا أيضاً؛ نحو قائلٌ وخائف؛ لأنَّ العينَ اعتلَّ في الفعل واعتلَّ في اسم الفاعل أيضًا. ولم يكن الاعتلالُ بالحذفِ لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيفُ الهمزة حتى تكون بين بين.

﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع بالكفَّار، بيَّن أنَّه من الله ذي المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فقال: لمن هو؟ فقال: للكافرين؛ فاللام في الكافرين متعلقةٌ بـ«واقع»[(١)].

وقال الفراء: التقدير بعذابٍ للكافرين واقع؛ فالواقع من نعتِ العذاب، واللَّام دخلت للعذاب لا للواقع[(٢)]. أي: هذا العذابُ للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل: إنَّ اللامَ بمعنى على، والمعنى: واقعٌ على الكافرين. ورُوِي أنها في قراءة أُبَيٍّ كذلك[(٣)]. وقيل: بمعنى عن، أي: ليس له دافعٌ عن الكافرين من الله، أي: ذلك العذابُ من الله.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي العلوِّ والدرجات الفواضل والنِّعم؛ قاله ابن عباس وقتادة[(٤)]. فالمعارجُ مراتبُ إنعامه على الخلق. وقيل: ذي العظمة والعلاء. وقال مجاهد: هي معارجُ السماء. وقيل: هي معارجُ الملائكة؛ لأنَّ الملائكةَ تعرجُ إلى السماء، فوصفَ نفسه بذلك[(٥)].

وقيل: المعارج الغرف، أي: إنَّه ذو الغُرَف، أي: جعل لأوليائه في الجنة غرفًا.

---

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ .

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٢٥٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٠ .

وقرأ عبدُ الله: «ذي المعاريج» بالياء[١]. يقال: مَعْرَج ومِعْراج، ومعارج ومعاريج؛ مثل: مفاتح[٢] ومفاتيح[٣]. والمعارج: الدرجات؛ ومنه: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: تَصْعَد في المعارج التي جعلها الله لهم. وقرأ ابنُ مسعود وأصحابه، والسُّلَمِيُّ، والكسائي: «يَعْرُجُ» بالياء على إرادة الجمع[٤]؛ ولقوله: ذكِّروا الملائكة ولا تُؤنِّثوهم[٥]. وقرأ الباقون بالتاء على إرادة الجماعة.

«وَالرُّوحُ»: جبريلُ عليه السلام؛ قاله ابن عباس[٦]. دليله قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[٧] [الشعراء: ١٩٣]. وقيل: هو مَلَكٌ آخرُ عظيمُ الخِلقة.

وقال أبو صالح: إنَّه خَلْقٌ من خَلْق الله، كهيئة النَّاس، وليس بالناس. وقال قَبِيصة بن ذُؤَيْب: إنَّه روحُ الميت حين يُقبض[٨].

﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى المكان هو محلُّهم، وهو في السماء؛ لأنَّها محلُّ بِرِّه وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]. أي: إلى الموضع الذي أمرني به[٩]. وقيل: «إِلَيْهِ» أي: إلى عرشه[١٠].

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: مفتاح.

(٣) الصحاح (عرج) وفيه: معارج ومعاريج جمع مِعْراج، وفيه أيضاً عن الأخفش قوله: إن شئت جعلت الواحد: مِعْرَج ومَعْرَج، مثل مِرْقاة ومَرْقاة.

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤، وأخرجها عن ابن مسعود الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٨٤. وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٤.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢١ من قول ابن مسعود، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٦) قوله: قاله ابن عباس. ليس في (ظ).

(٧) النكت والعيون ٦/ ٩٠ دون نسبة.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٠.

(٩) الوسيط ٤/ ٣٥١.

(١٠) الكشاف ٤/ ١٥٧.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال وَهْبٌ والكلبيُّ ومحمدُ بن إسحاق: أي: عروجُ الملائكة إلى المكان الذي هو محلُّهم، في وقتٍ كان مقداره على غيرهم لو صَعِد، خمسين ألف سنة[(١)]. وقال وهبٌ أيضاً: ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرةُ خمسين ألف سنة؛ وهو قول مجاهد[(٢)]. وجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في سورة السجدة [الآية: ٥]، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى مُنتهى أمره من فوق السماوات خمسونَ ألف سنة. وقوله تعالى في «الم تنزيل»: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني: بذلك نزول الأمر من سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدارُ ألف سنة؛ لأنَّ ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمس مئة عام[(٣)]. وعن مجاهد أيضاً والحَكَم وعِكْرمة: هو مدَّةُ عمر الدنيا من أوَّل ما خُلقت إلى آخر ما بقي، خمسونَ ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضى، ولا كم بقي، إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ[(٤)].

وقيل: المرادُ يوم القيامة، أي: مقدار الحُكْم فيه لو تولَّاه مخلوقٌ، خمسون ألف سنة، قاله عكرمة أيضاً والكلبيُّ ومحمد بن كعب[(٥)]. يقول سبحانه وتعالى: وأنا أفرغُ منه في ساعة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة، ولكنَّ يومَ القيامة لا نفاد له. فالمراد ذِكرُ موقفهم

(١) ذكره عن محمد بن إسحاق البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣، وذكره عن وهب الرازي ٣٠/ ١٢٤.

(٢) ذكره عن وهب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وذكره عن مجاهد ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٢.

(٤) قول الحكم وعكرمة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٣/ ٢٥٢، وذكره البغوي عن الكلبي ٤/ ٣٩٣، وعن محمد بن كعب ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٩٠.

للحساب، فهو في خمسينَ ألف سنة من سِني الدنيا، ثم حينئذٍ يستقرُّ أهلُ الدارين في الدارين.

وقال يَمَان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطنًا كلُّ مَوطِن ألف سنة[١].

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسينَ ألف سنة، ثم يدخلون النَّار للاستقرار[٢].

قلت: وهذا القولُ أحسن ما قيل في الآية إنْ شاء الله، بدليل ما رواه قاسم بن أَصْبَغ من حديث أبي سعيد الخُدرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألفَ سنة». فقلت: ما أطولَ هذا! فقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّفُ عن المؤمن، حتى يكونَ أخفَّ عليه من صلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا»[٣].

واستدلَّ النحاس على صحة هذا القول بما رواه سُهيلٌ عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال[٤]: «ما من رجلٍ لم يؤدِّ زكاةَ ماله، إلا جُعِلَ [يوم القيامة] شجاعًا من نار، تكوى به جبهته وظهره وجَنْباه، في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنة، حتى يقضيَ اللهُ بين الناس»[٥].

قال: فهذا يدلُّ على أنَّه يومُ القيامة.

---

(١) قولا الحسن ويمان في تفسير البغوي ٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٣، وأخرجه أيضاً أحمد (١١٧١٧) وفي إسناده ابن لهيعة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه. اهـ. وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح ١١/ ٤٤٨.

(٤) كذا ذكر المصنف، والذي في مطبوع إعراب القرآن ٥/ ٢٨ للنحاس حديث أبي سعيد الخدري السالف ولعل النحاس استدل بحديث أبي هريرة المذكور أعلاه في كتاب آخر له. أو أن ثمة سقطاً في كتاب الإعراب، والله أعلم.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٧) وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضًا أحمد (٧٧٢٠) وفيه: صفائح من نار. بدل: شجاعًا من نار.

وقال إبراهيم التيميّ: ما قَدْرُ ذلك اليوم على المؤمن، إلا قدرُ ما بين الظهر والعصر[١].

وروي هذا المعنى مرفوعًا من حديث معاذٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين، ولذلك سَمَّى نفسَه سريعَ الحساب، وأسرع الحاسبين». ذكره الماورديُّ[٢].

وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم[٣]. كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]. وهذا على قدر فَهم الخلائق، وإلّا فلا يشغلُه شأنٌ عن شأن. وكما يرزقهم في ساعةٍ، كذا يحاسبُهم في لحظة، قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وعن ابن عباس أيضاً أنّه سُئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيامٌ سَمَّاها الله عزَّ وجلَّ، هو أعلمُ بها كيف تكون، وأكره أنْ أقولَ فيها ما لا أعلم[٤].

وقيل: معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيلٌ، وهو تعريفُ طول مدَّة القيامة في الموقف، وما يَلقى الناسُ فيه من الشدائد. والعربُ تَصِف أيَّامَ الشدَّة بالطول، وأيامَ الفرح بالقِصر؛ قال الشاعر:

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْح قَصَّرَ طولَه دَمُ الزِّق عنَّا واصطفاقُ المزاهرِ[٥]

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ والمعنى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له من الله دافع، في يومٍ كان مقداره خمسينَ ألف سنةٍ، تعرجُ الملائكة والروح

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٦ .

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٩١ ، وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٥١٥٠) بنحوه .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥١ ، والبغوي ٤/ ٣٩٣ من قول عطاء .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٤ .

(٥) سلف ١٧/ ١١ .

إليه[١]. وهذا القول هو معنى ما اخترناه، والموفق الإله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: على أذى قومك. والصبرُ الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شَكْوَى لغير الله[٣]. وقيل: هو أنْ يكون صاحبُ المصيبة في القوم لا يُدْرَى من هو. والمعنى متقارب. وقال ابن زيد: هي منسوخةٌ بآية السيف[٤].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ يريد أهلَ مكة، يرون العذاب بالنار بعيدًا، أي: غير كائن.

﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ لأنَّ ما هو آتٍ فهو قريب[٥]. وقال الأعمش: يرون البعثَ بعيدًا[٦]؛ لأنَّهم لا يؤمنون به؛ كأنَّهم يستبعدونه على جهة الإحالة. كما تقول لمن تناظره: هذا بعيدٌ لا يكون[٧]! وقيل: أي: يرون هذا اليوم بعيدًا «وَنَرَاهُ» أي: نعلمه؛ لأنَّ الرؤيةَ إنما تتعلَّق بالموجود. وهو كقولك: الشافعيُّ يرى في هذه المسألة كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «واقع»؛ تقديره يقع بهم العذاب يوم[٨]. وقيل: «نَرَاهُ»، أو «يُبَصَّرونهم»، أو يكونُ بدلًا من قريب[٩]. والْمُهْلُ:

---

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٦٠ .

(٢) في (ظ) : والموافق له .

(٣) هو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٥ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٢٥ ، وردَّه هو والطبري .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩١ .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ وعزاه لعبد بن حميد .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٠ .

(٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩ .

(٩) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧ .

دُرْديُّ الزيت وعَكَرُه[١]؛ في قول ابن عباس وغيره. وقال ابن مسعود: ما أُذيب من الرَّصاص والنُّحاس والفضَّة. وقال مجاهد: «كَالْمُهْلِ»: كقيحٍ من دمٍ وصديد[٢]. وقد مضى في سورة الدخان والكهف القولُ فيه[٣].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: كالصُّوف المصبوغ، ولا يقال للصوف عِهْنٌ إلَّا أنْ يكون مصبوغًا[٤]. وقال الحسن: «تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» وهو الصوفُ الأحمر. وهو أضعفُ الصُّوف[٥]. ومنه قولُ زهير:

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ ... نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ[٦]

الفُتاتُ: القِطَع. والعِهْنُ: الصوفُ الأحمر؛ واحده عِهْنة. وقيل: العِهْنُ الصوف ذو الألوان؛ فشبَّه الجبال به في تَلَوُّنها ألوانًا[٧]. والمعنى: أنها تلين بعد الشدَّة، وتتفرَّق بعد الاجتماع. وقيل: أوَّلُ ما تتغيَّرُ الجبال تصير رَمْلًا مَهِيلًا، ثم عِهْنًا منفوشًا، ثم هَباءً مُنْبَثًّا[٨].

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: عن شأنه لشغل كلِّ إنسانٍ بنفسه، قاله قتادة[٩]. كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧]. وقيل: لا يَسألُ حميمٌ عن حميم، فَحذفَ الجارَّ ووصل الفعل[١٠]. وقراءةُ العامة: «يَسأل» بفتح الياء. وقرأ شيبةُ

(١) دردي الزيت: هو ما يبقى في أسفله. الصحاح (درد).
(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٢.
(٣) ١٩/ ١٣٣، ١٣/ ٢٦٢.
(٤) ياقوتة الصراط ص٣٥٠، وينظر ما سلف ١٤/ ١٣٧.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.
(٦) ديوان زهير ص١٢. قال شارحه ثعلب: أراد أن حَبَّ الفنا صحيح؛ لأنه إذا كسر، ظهر له لون غير الحمرة. وقال أبو عبيدة: وحَبُّ الفنا: شجر له حب تتخذ منه القراريط يوزن بها، وهو شديد الحمرة.
(٧) القول بنحوه في الكشاف ٤/ ١٥٧. وتفسير الرازي ٣٠/ ١٢٥.
(٨) ينظر مجمع البيان ٢٩/ ٥٥.
(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٧.
(١٠) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢٦.

والبَزِّيُّ عن عاصم: «ولا يُسأل» بالضم على ما لم يُسمَّ فاعله[١]، أي: لا يُسأل حميمٌ عن حميمه، ولا ذو قرابةٍ عن قرابته، بل كلُّ إنسانٍ يُسأل عن عمله. نظيره: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ﴾ أي: يرونهم. وليس في القيامة مخلوقٌ إلَّا وهو نُصْبَ[٢] عينِ صاحبِه من الجنِّ والإنس. فيُبصِرُ الرجلُ أباه وأخاه وقرابته وعشيرته، ولا يَسأله ولا يكلِّمه، لاشتغالهم بأنفسهم. وقال ابن عباس: يتعارفون ساعةً ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة[٣]. وفي بعض الأخبار: إنَّ أهلَ القيامة يَفِرُّون من المعارفِ مخافةَ المظالم.

وقال ابن عباس أيضًا: «يُبَصَّرُونَهُمْ»: يبصر بعضهم بعضًا، فيتعارفون، ثم يفرُّ بعضُهم من بعض. فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» على هذا للكفار، والهاء[٤] والميم للأقرباء.

وقال مجاهد: المعنى يُبصِّر اللهُ المؤمنينَ الكفارَ في يوم القيامة؛ فالضمير في «يبصَّرونَهم» للمؤمنين، والهاء والميم للكفار.

ابن زيد: المعنى يُبصِّر الله الكفارَ في النار الذين أضلُّوهم في الدنيا؛ فالضمير في «يُبَصَّرُونَهُمْ» للتابعين، والهاء والميم للمتبوعين.[٥] وقيل: إنَّه يبصِّرالمظلومَ ظالمَه

(١) كذا ذكر المصنف رواية البزي عن عاصم، والذي ذكره أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٥٤ هو رواية البرجمي عن أبي بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير باختلاف فيه.
وأما القراءة عن شيبة فقد ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٦٥٠ وقال: وهو غلط.

(٢) في (ظ): يبصر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٣.

(٤) لفظة: والهاء. ليست في (م).

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبريُّ ٢٣/ ٢٥٧-٢٥٨، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧.

والمقتولَ قاتلَه[١]. وقيل: «يُبَصَّرُونَهُمْ» يرجع إلى الملائكة، أي: يعرفون أحوالَ الناسِ، فيسوقون كلَّ فريقٍ إلى ما يليق بهم[٢]. وتم الكلام عند قوله: «يُبَصَّرُونَهُمْ».

ثم قال: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنَّى الكافر. ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ يعني: من عذاب جهنمَ بأعزِّ من كان عليه في الدنيا من أقاربه فلا يقدر.

ثم ذَكَرَهم فقال: ﴿بِبَنِيهِ . وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته. ﴿وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته. ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تنصره؛ قاله مجاهد وابن زيد. وقال مالك: أمُّه التي تُرَبِّيه. حكاه الماورديُّ[٣] ورواه عنه أشهب[٤]. وقال أبو عبيدة[٥]: الفصيلة دون القبيلة. وقال ثعلب: هم آباؤه الأدْنَوْن. وقال المبرِّد: الفصيلةُ: القطعة من أعضاء الجسد، وهي دون القبيلة. وسُمِّيت عِتْرة الرجل فصيلَته تشبيهاً بالبعض منه. وقد مضى في سورة الحجرات القولُ في القبيلة وغيرها[٦].

وهنا مسألة، وهي: إذا حَبَسَ على فصيلته، أو أوصى لها؛ فمن ادَّعى العمومَ حملَهُ على العشيرة، ومن ادَّعى الخصوصَ حملَهُ على الآباء؛ الأدنى فالأدنى. والأوَّل أكثر في النطق. والله أعلم[٧].

ومعنى: «تُؤْوِيه»: تضمُّه وتؤمِّنه من خوف إن كان به.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: ويَوَدُّ لو فُدِيَ بهم لافتدى ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ أي: يخلِّصه ذلك الفداء. فلا بدَّ من هذا الإضمار، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]

(١) النكت والعيون ٦/ ٩٢.

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٥٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٢. والأقوال السالفة منه عدا قول مجاهد، وقد أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٠.

(٤) أي عن مالك. أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦.

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٩٢.

(٦) ١٩/ ٤١٤ - ٤١٦.

(٧) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٦.

أي: وإنَّ أَكْلَهُ لَفِسق. وقيل: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يقتضي جوابًا بالفاء؛ كقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]. والجواب في هذه الآية: «ثُمَّ يُنْجِيهِ» لأنَّها من حروف العطف؛ أي: يَوَدُّ المجرمُ لو يفتدي فينجيَه الافتداء.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ تقدَّم القول في «كَلَّا» وأنها تكون بمعنى حَقًّا، وبمعنى لا[١]. وهي هنا تحتمل الأمرين؛ فإذا كانت بمعنى حقًّا، كان تمامُ الكلام «يُنْجِيهِ». وإذا كانت بمعنى لا، كان تمامُ الكلام عليها، أي: ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء. ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: هي جهنم، أي: تتلظَّى نيرانها؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل:١٤] واشتقاقُ لظى من التلظِّي. والتِظَاءُ النَّارِ: التهابُها، وتلظِّيها: تلهُّبُها[٢]. وقيل: كان أصلها: «لظظ»، أي: دامت[٣] لدوام عذابها؛ فقُلبتْ إحدى الظائين ألفًا، فبقيت لظى.

وقيل: هي الدَّرَكَةُ الثانية من طبقات جهنم[٤]. وهي اسمٌ مؤنثٌ معرفةٌ، فلا ينصرف.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه، والأعمش وأبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ «نَزَّاعَةٌ» بالرفع[٥]. وروى أبو عمر عن عاصم[٦] «نزاعةً» بالنصب.

---

(١) ١١/١٤٧.

(٢) الصحاح (لظى)، وقال الزمخشري ٤/١٥٨: لظى عَلَم للنار، منقول من اللظى، بمعنى اللهب.

(٣) في (م): ما دامت.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤.

(٥) النشر ٢/ ٣٩٠، والسبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤.

(٦) في (د) و(خ) و(م): أبو عمرو عن عاصم، وفي (ظ) أبو عمرو وعاصم. والمثبت من (ق). وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/٩٤٨. والكلام منه. وأبو عمر هو حفص بن سليمان راوية عاصم.

فمن رفع فله خمسةُ أوجه: أحدها: أنْ تجعلَ «لظى» خبرَ «إنَّ»، وترفعَ «نزاعةٌ» بإضمار هي؛ فمن هذا الوجه يحسنُ الوقف على «لظى»[(١)].

والوجه الثاني: أنْ تكون «لظى» و«نزاعةٌ» خبران لإنَّ؛ كما تقول: إنَّه حلوٌ حامض[(٢)].

والوجه الثالث: أنْ تكونَ «نزاعةٌ» بدلاً من «لظى»، و«لظى» خبر «إنَّ».

والوجه الرابع: أنْ تكون «لظى» بدلاً من اسم «إنَّ»، و«نزاعةٌ» خبرُ «إنَّ».

والوجه الخامس: أنْ يكون الضمير في «إنَّها» للقصَّة، و«لظى» مبتدأ، و«نزاعة» خبرُ الابتداء، والجملة خبر «إنَّ»[(٣)]. والمعنى: أنَّ القصةَ والخبرَ لظى نزاعةٌ للشَّوَى.

ومن نصب «نزاعة» حَسُنَ له أن يقف على «لظى» وينصب «نزاعة» على القطع من «لظى» إذ كانت نكرةً متصلةً بمعرفة[(٤)].

ويجوز نصبُها على الحال المؤكِّدة؛ كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة:٩١]. ويجوز أنْ تُنصبَ على معنى: إنَّها تتلظى نزاعةً[(٥)]، أي: في حال نزعها للشَّوَى. والعاملُ فيها ما دلَّ عليه الكلام من معنى التلظِّي[(٦)].

ويجوز أنْ يكونَ حالًا؛ على أنه حالٌ للمكذِّبين بخبرها.

ويجوز نصبها على المدح[(٧)]؛ كما تقول: مررتُ بزيدٍ العاقلَ الفاضلَ. فهذه

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٢) في النسخ: خلق مخاصم. وهو خطأ. والمثبت من الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦ والكلام منه.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٦.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢١.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥.

(٧) في (ق) و(خ): المنع. وفي (ظ) و(م): القطع. والمثبت من (د) وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٨. والكلام منه.

خمسةُ أوجهٍ للنصب أيضًا .

والشَّوَى : جمعُ شواةٍ، وهي جلدةُ الرأس. قال الأعشى :

قـالـت قُـتَـيـلَـةُ مـالَـهُ   قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيـبًـا شَـوَاتُـهْ[١]

وقال آخر :

لأصبحتَ هدَّتك الحوادثُ هَدَّةً   لها فَشَواةُ الرأس بادٍ قَتِيرُها[٢]

القتير : الشَّيب[٣]. وفي الصحاح : والشَّوى: جمع شَواة، وهي جلدةُ الرأس. والشَّوَى : اليدان والرِّجلان والرأس من الآدميِّين، وكلُّ ما ليس مَقْتَلًا. يقال: رماه فأَشواه، إذا لم يُصِبِ المقتل. قال الهُذَلِيُّ[٤] :

فإنَّ من القول التي لا شَوَى لها   إذا زَلَّ عن ظهرِ اللِّسان انفلاتُها

يقول: إنَّ من القول كلمةً لا تُشْوِي، ولكنْ تقتل. قال الأعشى :

قـالـت قُـتَـيْـلَـةُ مَـالَـهُ   قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيْـبًـا شَـوَاتُـهْ[٥]

قال أبو عبيدة[٦] : أنشدها أبو الخطاب الأخفشُ أبا عمرو بنَ العلاء، فقال له : صَحَّفت، إنَّما هو سَرَاتُه[٧] ؛ فسكت أبو الخطَّاب، ثمَّ قال لنا : بل هو صَحَّف، إنَّما هو شَواته. وشَوَى الفرسِ: قوائمُهُ؛ لأنَّه يقال: عَبْلُ الشَّوى[٨]، ولا يكونُ هذا

(١) معاني القرآن للزجَّاج ٢/ ٢٢١ . ولم نقف على البيت في ديوان الأعشى ، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٦١ .

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص١٦١ . وفيه : نعم . بدل : لها .

(٣) الصحاح (قتر) .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي؛ كما في ديوان الهذليين ١/ ١٦٣ .

(٥) سلف قريباً .

(٦) في (ظ) و(م) : أبو عبيد . والمثبت من (د) و(خ) و(ق)، وهو الموافق للصحاح والكلام منه. وكلامُ أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ .

(٧) بعدها في الصحاح (شوى) والكلام منه: سراته : أي : نواحيه .

(٨) أي: ضخم القوائم .

للرأس؛ لأنَّهم وصفوا الخيلَ بأسالة الخدَّين، وعِتْقِ الوجه؛ وهو رِقَّته. والشَّوَى: رُذال المال. والشَّوى: هو الشيء الهيِّن اليسير.

وقال ثابت البُنَانِيُّ والحسن: «نَزَّاعَةً لِلشَّوَى» أي: لمكارم وجهه[1]. أبو العالية: لمحاسن وجهه[2]. قتادة: لمكارم خلقته وأطرافه. وقال الضَّحَّاك: تَبْرِي[3] اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً. وقال الكسائيُّ: هي المفاصل. وقال بعضُ الأئمة: هي القوائم والجلود. قال امرؤ القيس:

سَلِيمِ الشَّظى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسا له حَجَباتٌ مُشْرِفاتٌ على الفالِ[4]

وقال أبو صالح: أطراف اليدين والرِّجلين. قال الشاعر:

إذا نظرتْ عَرَفْتَ الفخرَ منها وعينيها ولم تعرف شَواها[5]

يعني: أطرافها. وقال الحسن أيضاً: الشَّوَى: الهام[6].

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: تدعو لَظَى من أدبرَ في الدنيا عن طاعة الله، وتولَّى عن الإيمان. ودعاؤها أنْ تقول: إليَّ يا مشرك، إليَّ يا كافر.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٣ عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ عن ثابت وعزاه لابن المنذر.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٣) في (د) و(م): تفري، وفي (ظ): تجري. والمثبت من (خ) و(ق) وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٣ وقد أخرجه عنه.

(٤) ديوان امرئ القيس ص٣٦. قال شارحه: قوله: سليم الشظى: هو عظم صغير في يد الفرس، فإذا تحرك قيل: شِظَى الفرس. والشوى: القوائم. والنَّسا: عرق، ووصفه بالشَّنِج لأنه أصلب له. والحجبات: رؤوس الأوراك. وقوله: على الفال: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عَجْب الذنب ويساره.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣. والبيت في ديوان مجنون ليلى ص٣٠٠ وفيه: الجيد. بدل: الفخر. وهو أيضاً في ديوان ابن الدمينة ص١٩١. وفيه: النحر، بدل: الفخر. وجاء في الديوانين بلفظ: سواها؛ بالمهملة. بدل: شَواها.

(٦) لفظ قول الحسن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧: الشوى: جلد الرأس والهامة.

وقال ابن عباس: تدعو الكافرينَ والمنافقين بأسمائهم، بلسانٍ فصيح: إليَّ يا كافر، إليَّ يا منافق؛ ثم تلتقطهُم كما يلتقط الطيرُ الحبَّ[١].

وقال ثعلب: «تَدْعُو» أي: تُهلك. تقول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك الله[٢].

وقال الخليل[٣]: إنَّه ليس كالدُّعاء: تعالوا، ولكن دَعْوَتُها إياهم، تَمَكُّنها من تعذيبهم.

وقيل: الداعي خَزَنَةُ جهنم؛ أُضيف دعاؤهم إليها. وقيل: هو ضربُ مَثَل، أي: إنَّ مصيرَ من أدبر وتولَّى إليها، فكأنَّها الداعية لهم. ومثله قول الشاعر[٤]:

ولقد هبطنا الوادِيَيْن فواديًا   يدعو الأنيسَ به العضيضُ الأبكمُ

العضيض الأبكم: الذباب. وهو لا يدعو، وإنما طنينه نبَّه عليه، فدعا إليه[٥].

قلت: القولُ الأوَّل هو الحقيقة؛ حَسَب ما تقدَّم بيانه بآي القرآن والأخبار الصحيحة.

القشيريُّ: ودعاءُ لَظى بخلق الحياة فيها حين تدعو، وخوارق العادة غدًا كثيرة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أي: جمع المالَ فجعله في وعائه، ومنعَ منه حقَّ الله تعالى؛ فكان جَموعًا مَنوعًا[٦]. قال الحَكَم: كان عبد الله بن عُكَيم لا يربط كيسه، ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

(٣) في العين ٢/ ٢٢١.

(٤) ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٣ - ٩٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٩٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٥.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يعني: الكافر؛ عن الضحاك[١]. والهَلَع في اللغة: أشدُّ الحرص وأسوأُ الجزع وأفحشُه. وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما. وقد هَلِع ـ بالكسر ـ يَهْلَع، فهو هَلِعٌ وهَلُوع[٢]؛ على التكثير.والمعنى: إنَّه لا يصبر على خيرٍ ولا شرٍّ حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. عِكرمة: هو الضَّجور[٣]. الضَّحَّاك: هو الذي لا يشبع[٤]. والمَنُوع: هو الذي إذا أصابَ المالَ منعَ منه حقَّ الله تعالى[٥]. وقال ابنُ كَيسان: خلق اللّهُ الإنسانَ يحبُّ ما يَسرُّه ويُرضيه، ويهربُ مما يَكرهه ويسخطُ، ثم تَعَبَّده الله بإنفاق ما يحبُّ، والصبرِ على ما يكره[٦].

وقال أبو عبيدة: الهَلُوعُ: هو الذي إذا مسَّه الخيرُ لم يَشكر، وإذا مسَّه الضُّرُّ لم يَصبر؛ قاله ثعلب.

وقال ثعلب أيضاً: قد فسَّر الله الهَلُوع، وهو الذي إذا ناله الشرُّ أظهرَ شدَّة الجَزَع، وإذا ناله الخيرُ بَخِل به ومنعه الناس[٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «شَرُّ ما أُعطي العبدُ: شُحٌّ هالع، وجُبْنٌ خالع»[٨]. والعربُ تقول: ناقةٌ هِلْواعة وهِلْواع؛ إذا كانت سريعةَ السَّير خفيفة[٩]. قال:

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٦ .

(٢) الصحاح (هلع) .

(٣) زاد المسير ٨/ ٣٦٣ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦ وعزاه لابن المنذر .

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٠٤ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٤ .

(٧) ينظر الدر المصون ١٠/ ٤٥٩ .

(٨) أخرجه أحمد (٨٠١٠)، وأبو داود (٢٥١١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٩) ينظر الصحاح (هلع) .

صكَّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استدبرتَها حَرَجٍ إذا استقبلتَها هِلْواعِ[(١)]

الذِّعْلِب والذِّعْلِبة: الناقة السريعة[(٢)].

و«جَزُوعًا» و«مَنُوعًا» نعتان لِهَلُوع. على أنْ ينويَ بهما التقديمَ قبل «إذا». وقيل: هو خبر «كان» مضمرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ دلَّ على أنَّ ما قَبْلَه في الكفار؛ فالإنسانُ اسمُ جنس؛ بدليل الاستثناء الذي يعقبه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢-٣].

قال النَّخَعيُّ: المراد بالمصلِّين الذين يؤدُّون الصلاةَ المكتوبة[(٣)]. ابن مسعود: الذين يصلُّونها لوقتها، فأمَّا تركُها فكفر[(٤)]. وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون عامَّة، فإنَّهم يَغْلبون فَرْطَ الجزع بثقتهم بربِّهم ويقينهم.

---

(١) البيت للمسيَّبِ بن عَلَس، وهو في المفضليات ص٦١، وكتاب الحيوان للجاحظ ٤/ ٣٩٩، وتهذيب اللغة ١/ ١٤٤. قوله: صكاء؛ من الصكك، وهو تقارب العُرقوبين، يقول: كأنها نعامة في تقارب عُرْقُوبَيْها، ويُحمد من النجائب تقاربُ العُرْقُوبَيْن. (والعُرْقُوب من الدابة: ما يكون في رِجلها بمنزلة الركبة في يدها). وقوله: الحَرَج هو سرير عمل عليه الموتى؛ شبهها به لطولها. والهِلْواع: الحديدة السريعة. شرح اختيارات المفضل ١/ ٣٠٩-٣١٠.

(٢) الصحاح (ذعلب).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٦٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ أي: على مواقيتها. وقال عقبةُ بن عامر: هم الذين إذا صلَّوْا لم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا[١]. والدائم الساكن، ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم[٢]، أي: الساكن. وقال ابن جُريج والحسن: هم الذين يُكثرون فعلَ التطوّع منها[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ يريد الزكاة المفروضة؛ قاله قتادة وابن سيرين[٤]. وقال مجاهد: سِوى الزكاة. وقال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة رَحِم وحَمْلُ كَلٍّ[٥]. والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّه وَصَفَ الحقَّ بأنَّه معلوم، وسِوى الزكاة ليس بمعلوم، إنَّما هو على قدر الحاجة، وذلك يَقِلُّ ويكثر[٦].

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ تقدَّم في «الذاريات»[٧].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة. وقد مضى في سورة الفاتحة القولُ فيه[٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ قال ابن عباس: لمن أشرك أو كَذَّب أنبياءه.

وقيل: لا يأمنُه أحدٌ، بل الواجب على كلِّ أحدٍ أنْ يخافه ويُشفقَ منه.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٩.

(٢) في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «لا يَبُلْ أحدكم في الماء الدائم، ولا يغتسل فيه من الجنابة». أخرجه أحمد (٩٥٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٩٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٦٤ عن ابن جريج.

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣٢ عن قتادة.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٦) غير أن ابن عطية صحح قول مجاهد في المحرر الوجيز ٥/٣٦٨. قال: وهذا هو الأصح في هذه الآية لأنَّ السورة مكية، وفرض الزكاة وبيانها إنما كان بالمدينة.

(٧) ١٩/ ٤٨٢.

(٨) ١/ ٢٢١.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تقدَّم القولُ فيه في سورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ[١].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ تقدَّم أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ على من كانت [عليه][٢] من قريبٍ أو بعيد، يقومون بها عند الحكام[٣] ولا يكتمونها ولا يغيِّرونها. وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في سورة البقرة[٤]. وقال ابن عباس: «بِشَهَادَاتِهِمْ» أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله[٥]. وقُرِئ «لِأَمَانَتِهِمْ» على التوحيد. وهي قراءة ابن كثير وابن مُحَيْصن[٦]. فالأمانة: اسمُ جنس، فيدخل فيها أمانات الدِّين، فإنَّ الشرائع أماناتٌ ائتَمنَ الله عليها عبادَه. ويدخل فيها أماناتُ الناس من الودائع. وقد مضى هذا كلُّه مستوفًى في سورة النساء[٧].

وقرأ عباس الدُّوري[٨] عن أبي عمرو ويعقوب: «بِشَهَادَاتِهِمْ» جمعًا[٩]. الباقون:

---

(١) ١٥/١١ - ١٥ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق . ينظر اللباب لابن عادل الحنبلي ١٩/ ٣٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٢٩٣ .

(٣) في (د) و(م) : الحاكم .

(٤) ٤/ ٤٧٧ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣١ .

(٦) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص١٥٨ . وقراءة ابن محيصن في إتحاف فضلاء البشر ص٥٥٦ .

(٧) ٦/ ٤٢٣ .

(٨) كذا قال المصنف، وهو وهم منه رحمه الله، إنما هو عباس بن الفضل بن عمرو، أبو الفضل الأنصاري الواقفي. معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧٧ . أما عباس الدوري، فهو ابن محمد أبو الفضل البغدادي، روى عنه أصحاب السنن.

(٩) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية حفص. السبعة ص ٦٥١، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٩١، ولم يذكر أبو عمرو الداني رواية عباس بن الفضل عن أبي عمرو في التيسير، وذكرها في جامع البيان ٢/ ٤٥٥ .

«بِشَهَادَتِهِمْ» على التوحيد؛ لأنَّها تؤدِّي عن الجمع. والمصدر قد يُفرد وإن أُضيف إلى جمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. وقال الفراء: ويدلُّ على أنَّها «بِشَهَادَتِهِمْ» توحيدًا قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها. وقال ابن جُرَيج(١): التطوع. وقد مضى في سورة المؤمنين(٢). فالدوام خلاف المحافظة. فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخِلُّون بها ولا يشتغلون عنها بشيءٍ من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغَ الوضوء لها ومواقيتَها، ويقيموا أركانها، ويكمِّلوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف(٣) المآثم. فالدوامُ يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظةُ إلى أحوالها(٤).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال الأخفش: مسرعين. قال:

بمكَّةَ أهلُها ولقد أراهم إليه مهطعين إلى السماع(٥)

والمعنى: ما بالهم يُسرعون إليك، ويجلسون حواليك، ولا يعملون بما تأمرُهم؟ وقيل: أي: ما بالُهم مسرعين في التكذيب لك؟ وقيل: أي: ما بالُ الذين كفروا

---

(١) ذكر قوله ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠.

(٢) ١٥/ ١٥.

(٣) في (م) باقتراب.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٩.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٦. والبيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري وهو في ديوانه ص١١٠، وروايته فيه:

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

يُسْرِعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك[١]؟ وقال عطيَّة: مهطعين: معرضين. الكلبيُّ: ناظرين إليك تعجُّبًا[٢]. وقال قتادة: عامدين[٣]. والمعنى متقارب، أي: ما بالهم مسرعين عليك، مادِّين أعناقَهم، مدمني النظر إليك[٤]؟ وذلك من نظر العدوِّ. وهو منصوبٌ على الحال. نزلت في جمعٍ من المنافقين المستهزئين، كانوا يَحضرونه عليه الصلاة والسلام ولا يؤمنون به[٥]. و«قِبَلَكَ» أي: نحوك.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمين النبيِّ ﷺ وشماله، حِلَقاً حِلَقاً وجماعات. والعِزين: جماعاتٍ في تَفرِقة، قاله أبو عبيدة[٦]. ومنه حديثُ النبيِّ ﷺ، أنَّه خرج على أصحابه فرآهم حِلقًا، فقال: «ما لي أراكم عِزين، أَلَا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟»، قالوا: وكيف تَصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال: «يُتِمُّون الصفوفَ الأُوَلَ، ويَتراصُّونَ في الصَّفِّ» خرَّجه مسلمٌ وغيره[٧]. وقال الشاعر:

تَـرانـا عـنـده والـلَّـيـلُ داجٍ ... عـلـى أبـوابـه حِـلَـقاً عِـزيـنـا[٨]

وقال الراعي:

أخـلـيـفـةَ الـرحـمـنِ إنَّ عـشـيـرتـي ... أمـسـى سَـرَاتُـهُـمُ إلـيـك عِـزِيـنـا[٩]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٣.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٧٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ١٢١.

(٦) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.

(٧) صحيح مسلم (٤٣٠)، ومسند أحمد (٢٠٩٦٤)، عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٩٧. وجاء بعد البيت في (د) و(م): أي متفرقين.

(٩) ديوان الراعي النميري ص٢٢٨ وروايته فيه:

أولـيَّ أمـرِ الـلـه إنَّ عـشـيـرتـي ... أمـسـى سَـوَامُـهُـمُ عِـزِيـنَ فُـلُـولا

وسَراة الشيء أي: خياره. لسان العرب (سرا).

أي: متفرقين. وقال آخر:

كأنَّ الجماجمَ من وقعها خناطيل[1] يهوينَ شَتَّى عِزِينا[2]

وقال آخر:

فلمَّا أنْ أَتَيْنَ على أُضاخٍ ضَرَحْنَ حَصَاهُ أشْتَاتًا عِزِينا[3]

وقال الكُمَيْت[4]:

ونحنُ وجَنْدَلٌ باغٍ تَركْنَا كَتائبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينا

وقال عنترة[5]:

وقِرْنٍ قد تركتُ لِذِي وَليٍّ عليه الطير كالعُصَبِ العِزِين

وواحدُ عِزِينَ: عِزَة، جُمع بالواو والنون؛ ليكون ذلك عِوَضاً مما حُذِف منها. وأصلها: عِزْهة، فاعتلَّت كما اعتلَّت سَنَة، فيمن جعل أصلها سَنْهة[6]. وقيل: أصلها: عِزْوة، من عزاه يعزوه: إذا أضافه إلى غيره. فكلٌّ واحدٍ[7] من الجماعات مضافةٌ إلى الأخرى، والمحذوف منها الواو.

وفي الصحاح: والعِزَة: الفِرْقةُ من الناس، والهاء عوضٌ من الياء، والجمع عِزًى ـ على فِعَل ـ وعِزُون وعُزُون أيضاً بالضم، ولم يقولوا عِزات، كما قالوا ثُبات. قال

---

(١) الخناطيل: جماعاتٌ من الوحش والطير في تفرقةٍ، ولا واحد لها من جنسها. اللسان (خنطل).

(٢) لم نقف عليه. وجاء بعده في (د) و(م): أي متفرقين.

(٣) لم نقف على قائله. وهو في الصحاح (عزا). قوله: أُضاخ: اسم جبل أو موضع. اللسان (أضخ)، وضرحه: دفعه ونحَّاه. القاموس (ضرح).

(٤) في ديوانه ص٤٤٨.

(٥) في (د) و(ظ): وقال غيره. والبيت في ديوان عنترة (مصورة دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي) ص١٧٩ برواية:

وقِرنٍ قد تركت لدى مَكَرٍّ عليه سبائباً كالأرجوان

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٩.

(٧) في (د) أحد، وفي مجمع البيان ٢٩/ ٦١ ـ والكلام منه ـ: جماعة.

الأصمعيُّ: يقال في الدار: عِزونَ، أي: أصنافٌ من الناس[١].

و﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ متعلِّقٌ بـ«مُهْطِعِينَ» ويجوز أنْ يتعلَّق بـ«عِزِين» على حدِّ قولك: أخذته عن زيد[٢].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبيِّ ﷺ، ويستمعون كلامه، فيكذِّبونه، ويَكْذِبون عليه، ويستهزئون بأصحابه، ويقولون: لئنْ دخلَ هؤلاء الجنَّةَ لندخلنَّها قبلَهم، ولئن أُعطوا منها شيئاً لَنُعطَيَنَّ أكثرَ منه، فنزلت: «أَيَطْمَعُ» الآية[٣].

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهُط[٤]. وقرأ الحسنُ وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ والأعرجُ: «أَنْ يَدْخُلَ» بفتح الياء وضم الخاء؛ مُسمَّى الفاعل. ورواه المفضَّل عن عاصم[٥]. الباقون: «أَنْ يُدْخَلَ» على الفعل المجهول.

﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلونها. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنَّهم يعلمون أنَّهم مخلوقون من نطفة، ثم من علقةٍ، ثم من مضغةٍ؛ كما خُلِقَ سائرُ جنسهم، فليس لهم فضلٌ يستوجبون به الجنة، وإنما تُستوجَب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى[٦]. وقيل: كانوا يستهزؤون بفقراء المسلمين، ويتكبَّرون[٧] عليهم. فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من القَذَر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وقال قتادة في هذه الآية: إنما خُلِقْتَ يا ابن آدم من قذرٍ، فاتَّق الله[٨].

---

(١) الصحاح (عزا).

(٢) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٦٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤.

(٤) الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٥) قراءة الحسن وطلحة والمفضل عن عاصم في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٦٤.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٥.

(٧) في (د): وينكرون.

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٢.

وروي أنَّ مُطَرِّفَ بنَ عبد الله بن الشِّخِّير رأى المُهَلَّب بنَ أبي صُفْرة يتبختر في مُطْرَف[١] خَزٍّ وجُبَّة خزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المِشْية التي يُبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أوَّلُكَ نطفةٌ مَذِرة، وآخِرُكَ جيفةٌ قَذِرة، وأنت تحمل العَذِرة. فمضى المهلَّب وترك مشيته[٢].

ونظم الكلامَ محمود الورَّاق فقال:

عَجِبْتُ من مُعْجَبٍ بصورتهِ ... وكان في الأصل نُطفةً مَذِرهْ
وهو غَدًا بعد حُسْنِ صورتهِ ... يصيرُ في اللَّحد جيفةً قَذِرهْ
وهو على تِيهه ونَخْوتهِ ... ما بين ثوبيه يحمل العذرهْ[٣]

وقال آخر:

هل في ابن آدم غيرُ الرأس مَكْرُمةٌ ... وهو بخمسٍ من الأوساخ مضروبُ
أنفٌ يسيل وأذْنٌ ريحُها سَهِكٌ[٤] ... والعين مُرْمَصَةٌ[٥] والثغْر ملعوبُ[٦]
يا ابن التراب ومأكولَ التراب غدًا ... قصِّرْ فإنَّك مأكولٌ ومشروبُ[٧]

وقيل: معناه من أجل ما يعلمون، وهو الأمر والنهي، والثواب والعقاب. كقول

---

(١) المطرف: بضم الميم وكسرها واحد المطارف، وهي أرديةٌ من خزٍّ مربعةٌ لها أعلام. مختار الصحاح (طرف).

(٢) ذكر هذه القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٥.

(٣) الأبيات ذكرها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨ دون نسبة. ونسبها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٨ لأبي محمد البافي.

(٤) السهك: هي ريحٌ كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق. اللسان (سهك).

(٥) الرَّمص: وسخ أبيض يجتمع في الموق. القاموس (رمص).

(٦) في (د) و(ق) و(م): ملهوب. والمثبت من (خ) و(ظ)، وغرر الخصائص الواضحة. وثغر ملعوب، أي: ذو لعاب، الصحاح (لعب).

(٧) الأبيات في غرر الخصائص الواضحة ص٦٨. دون نسبة.

الشاعر وهو الأعشى[١]:

أأَزْمَعْتَ من آل لَيْلى ابْتِكَارَا وشَطَّتْ عَلى ذِي هَوًى أن تُزَارَا

أي: من أجل ليلى[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أقسم. و«لا» صلة. ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ هي مشارقُ الشمس ومغاربُها. وقد مضى الكلام فيها[٣]. وقرأ أبو حَيْوَة وابن مُحَيْصِن وحُميد: «بِربّ المشرِقِ والمغرِب» على التوحيد[٤].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يقول: نقدرُ على إهلاكهم والذهاب بهم، والمجيء بخيرٍ منهم في الفضل والطوع والمال[٥].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتنا شيءٌ ولا يعجزنا أمرٌ نريده.

قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم؛ على جهة الوعيد. واشتغِلْ أنت بما أُمِرت به، ولا يَعظُمنَّ عليك شِركُهم؛ فإنَّ لهم يوماً يَلقَون فيه ما وُعِدوا. وقرأ ابنُ مُحَيْصِن ومجاهد وحُميد: «حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمْ الَّذِي يُوْعَدُونَ»[٦]. وهذه الآية

---

(١) في ديوانه ص٩٥ .

(٢) مجمع البيان ٢٩/ ٦٣ .

(٣) ٢/ ٣٢٤ .

(٤) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ عن ابن محيصن .

(٥) في (د): المثال .

(٦) وهي قراءة أبي جعفر – من العشرة – كما في النشر ٢/ ٣٩١ . وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦ .

منسوخة بآية السيف[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾

«يَوْمَ» بدل من «يَوْمَهُمُ» الذي قبله، وقراءةُ العامة: «يَخْرُجُونَ» بفتح الياء، وضمِّ الراء على أنَّه مسمَّى الفاعل. وقرأ السُّلَمِيُّ والمغيرةُ والأعشى عن عاصم: «يُخْرَجون» بضمِّ الياء، وفتح الراء على الفعل المجهول[٢].

والأجداث: القبور، واحدها جَدَث[٣]. وقد مضى في سورة يس[٤].

﴿سِرَاعًا﴾ حين يسمعون الصيحةَ الآخرة إلى إجابة الداعي، وهو نصبٌ على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد. وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد[٥]. وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد[٦]. والنَّصْب والنُّصْب لغتان، مثل الضَّعْف والضُّعْف[٧]. الجوهريُّ[٨]: والنَّصْب ما نُصِب فعُبِد من دون الله، وكذلك النُّصْب بالضمِّ؛ وقد يُحرَّك. قال الأعشى:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦ ، وقال ابن الجوزي: وإذا قلنا إنه وعيدٌ بلقاء يوم القيامة ، فلا وجه للنسخ .

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ ، ونسبها لعلي ﷺ . وهي برواية الأعشى عن عاصم في جامع البيان لأبي عمرو الداني ٢/ ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٤ .

(٤) ١٧/ ٤٦٢ .

(٥) السبعة ص٦٥١ ، والتيسير ص٢١٤ .

(٦) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ لأبي العالية ، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١ للحسن وقتادة .

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ١٣٣ .

(٨) في الصحاح (نصب) .

وذَا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه لِعافيةٍ[(١)] واللهَ ربَّك فاعْبُدا[(٢)]

أراد «فَاعْبُدَنْ» فوقف بالألف؛ كما تقول: رأيتُ زيداً. والجمع الأنصاب. وقوله: «وذا النُّصُبَ» بمعنى إيَّاك وذا النُّصُبَ. والنُّصْب: الشرُّ والبلاء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقال الأخفش والفرَّاء: النُّصُب جمع النَّصْب مثل رَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع نُصُب؛ فهو جمع الجمع[(٣)]. وقيل: النُّصُب والأنصاب واحد. وقيل: النُّصُب جمع نِصاب، وهو حجرٌ أو صنمٌ يُذبَح عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. وقد قيل: نَصْب ونُصْب ونُصُب؛ بمعنًى واحد؛ كما قيل: عَمْر وعُمْر وعُمُر؛ ذكره النحاس[(٤)].

قال ابن عباس: «إلى نصب» إلى غاية، وهي التي تَنْصِب إليها بصرك.

وقال الكلبيُّ: إلى شيءٍ منصوبٍ؛ عَلَمٍ أو رَايةٍ[(٥)]. وقال الحسن: كانوا يَبْتَدرون إذا طَلعت الشمس إلى نُصُبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، لا يلوي أوَّلهم على آخرهم[(٦)].

﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرعون. والإيفاض: الإسراع. قال الشاعر:

فوارسُ ذُبْيانَ تحت الحديـ ـدِ كالجنِّ يُوفِضْنَ من عَبْقَرِ[(٧)]

---

(١) قوله: لعافية، من (م)، ووقع في مطبوع الصحاح: لعاقبة، وفي اللسان (نصب): لعافية، وأشار محقق اللسان إلى أنها وردت في نسخة خطية للصحاح: لعافية.

(٢) ديوان الأعشى ص١٨٧، ورواية الشطر الثاني فيه: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا.

(٣) قول الأخفش ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٣٦، وقول الفراء ذكره ابن زنجلة في حجة القراءات ص٧٢٥.

(٤) وهو معنى قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٦٨، وينظر الصحاح واللسان (نصب).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٩٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٨٧، وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٥٥، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٩٦ بنحوه.

(٧) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٤٦٥، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٢٩٥.

عبْقَرٌ: موضعٌ تزعُم العرب أنَّه من أرض الجنّ . قال لبيد:

كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ كـجِـنَّـةِ عـبـقـرِ[(١)]

وقال الليث: وَفَضتِ الإبلُ تَفِض وَفْضًا؛ وأَوفضَها صاحبُها[(٢)]. فالإيفاض متعدٍّ، والذي في الآية لازم. يقال: وَفَضَ وأَوفَضَ واستوفض، بمعنى أسرع[(٣)].

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: ذليلةً خاضعة، لا يرفعونها لِمَا يتوقعونَه من عذاب الله.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾ أي: يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سوادُ الوجوه. والرَّهَق: الغشيان، ومنه غلامٌ مراهقٌ: إذا غشي الاحتلام. رَهِقَه ـ بالكسر ـ يَرْهَقُه رَهَقًا، أي: غَشِيَه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ [يونس:٢٦][(٤)].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: يوعدونَه في الدنيا أنَّ لهم فيه العذاب. وأخرجَ الخبرَ بلفظ الماضي؛ لأنَّ ما وعدَ اللهُ به يكونُ ولا محالة.

والحمد لله.

---

(١) ديوانه ص٥٤ . وصدره: ومن قَادَ من إخوانهم وبنيهِم، والكلام في الصحاح (عبقر).

(٢) تهذيب اللغة ١٢/ ٨٢ .

(٣) الصحاح (وفض) .

(٤) الصحاح (رهق) .

سُورَةُ المَعَارِج

مَكِّيَّةٌ، وآيُها أربعٌ وأربعونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾؛ أي: دَعا داعٍ به بمَعنى: استدعاهُ، ولذلك عُدِّيَ الفعلُ بالباءِ، والسَّائلُ: نضرُ بنُ الحارثِ، فإنَّه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٢] [١].

أو: أبو جهلٍ فإنَّه قال: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] سألَهُ استهزاءً[٢].

أو: الرَّسولُ عليه السَّلامُ استعجلَ بعَذابِهم[٣].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿سالَ﴾[٤]، وهو إمَّا مِن السُّوالِ على لغةِ قُريشٍ[٥]، قال:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار في «مسنده» (٥٠٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر ما قاله النضر.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٠)، لكنه ذكر أنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾.

(٣) ذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩) وعده من الغرائب.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٥) قولُه: «منَ السّوالِ» بالواوِ الصَّريحةِ بكسرِ السِّينِ وضمِّها. قاله الشهاب، وزاد: وكونُ الواوِ فيه =

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ[(١)]

أو مِن السَّيَلانِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (سالَ سيلٌ)[(٢)] على أنَّ السَّيلَ مصدرٌ بمعنى السَّائلِ كالغورِ، والمَعنى: سالَ وادٍ بعذابٍ. ومضيُّ الفعلُ لتحقُّقِ وُقوعِه[(٣)]: إمَّا في الدُّنيا وهو قتل بدر، أو في الآخرةِ وهو عذابُ النَّارِ.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صفةٌ أخرى لـ(عذابٍ) أو صلةٌ لـ﴿وَاقِعٍ﴾ وإن صحَّ أن السُّؤالَ كان عمَّنْ يقعُ به العذابُ كان جوابًا، والباءُ على هذا لتَضمُّنِ ﴿سَأَلَ﴾ مَعنى: اهتمَّ.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ يردُّه ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مِن جِهتِه لتَعلُّقِ إرادَتِه به ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي المصاعدِ وهي الدَّرجاتُ التي يَصعدُ فيها الكلمُ الطَّيبُ والعملُ الصَّالحُ، أو يترقَّى فيها المؤمنونَ في سُلوكِهم أو في دارِ ثَوابِهم، أو مراتبُ الملائكةِ، أو السَّماواتُ فإنَّ الملائكةَ يَعرجونَ فيها.

(٤) ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ استئنافٌ

= أصليَّةٌ وهو لغةُ قُريشٍ فيه نظرٌ؛ لأنَّ المُصرَّحَ به في كتب اللُّغةِ والعربيَّةِ خلافُه، وفي «كتابِ سيبويهِ»: أنَّ لغةَ أهلِ الحجازِ همزُه وتحقيقُ الهمزةِ فيه، حتَّى قالَ: إنَّ الألفَ مُبدلةٌ منَ الهمزةِ، وإنَّه على خلافِ القياسِ المقصورِ على السَّماعِ، وكيفَ لا والقرآنُ ورَدَ بخلافِهِ، وهو قد نزَلَ على لغةِ قُريشٍ إلَّا ما ندَرَ؟ وانظر: «الكتاب» (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤).

(١) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه. انظر: «ديوانه» (١/ ٤٤٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٨٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٥٤).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قولُه: «ومُضِيُّ الفعلِ...» هو على الأوَّلِ حقيقةٌ، والتَّجوُّزُ في قولِه: ﴿وَاقِعٍ﴾، وعلى الأخيرِ مجازٌ لأنَّ العذابَ لم يحلَّ بهم. قاله الشهاب.

لبيانِ ارتفاعِ تلك المعارجِ وبُعدِ مَداها وقَدْرِها على التَّمثيلِ والتَّخييلِ، والمعنى: أنَّها بحيثُ لو قُدِّرَ قَطعُها في زمانٍ لكانَ في زمانٍ يقدَّرُ بخمسينَ ألفَ سنةٍ مِن سِنِي الدُّنيا.

وقيل: مَعناه: تعرجُ الملائكةُ والرُّوحُ إلى عرشِه في يوم كانَ مِقدارُهُ كمقدارِ خمسينَ ألفَ سنةٍ مِن حيثُ إنَّهُم يقطعونَ فيه ما يَقطعُه الإنسانُ فيها لو فُرِضَ، لا أنَّ ما بين أسفَلِ العالمِ وأعلى شرفاتِ العرشِ مسيرةُ خمسينَ ألفَ سنةٍ؛ لأنَّ ما بينَ مركزِ الأرضِ ومقعَّرِ السَّماءِ الدُّنيا ـ على ما قيل ـ مَسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ، وثخنُ كلِّ واحدٍ مِن السَّماواتِ السَّبعِ والكرسيِّ والعرشِ كذلك، وحيثُ قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يريدُ به زمانَ عُروجِهِم مِن الأرضِ إلى محدَّبِ السَّماءِ الدُّنيا.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾، أو ﴿سال﴾ إذا جُعِلَ من السَّيلانِ، والمرادُ به يومُ القيامةِ[1]، واستطالَتُه إمَّا لشِدَّتِه على الكفَّارِ، أو لكثرةِ ما فيه مِن الحالاتِ والمحاسباتِ، أو لأنَّه على الحقيقةِ كذلك.

والرُّوحُ جبرئيلُ، وإفرادُه لفَضلِه، أو خلقٌ أعظَمُ مِن الملائكةِ.

وقرأ الكسائي: ﴿يَعْرُجُ﴾ بالياء[2].

(٥) ـ ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا يَشوبُه استعجالٌ واضطرابُ قلبٍ، وهو متعلِّقٌ بـ﴿سَأَلَ﴾ لأنَّ السُّؤالَ كان عن استهزاءٍ وتعنُّتٍ وذلك مما يُضجرهُ، أو عن تضجُّرٍ واستبطاءٍ للنَّصرِ، أو بـ﴿سال﴾[3] لأنَّ المعنى: قَرُبَ وقوعُ العذابِ فاصبِرْ فقد شارفْتَ الانتقامَ.

---

(١) قولُه: «والمُرادُ به يومُ القيامةِ» يعني: على هذا التَّفسيرِ. قاله الشهاب.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) أي: بالألف على قراءة نافع وابن عامر: ﴿سال سائل﴾، أو على قراءة: (سال سيل)، في الوجهَين؛ =

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ الضَّميرُ للعذابِ أو ليومِ القيامةِ ﴿بَعِيدًا﴾ مِن الإمكانِ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ منه، أو: من الوقوعِ.

(٨) ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ظرفٌ لـ﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: يمكنُ يومَ تكون، أو لِمُضمرٍ دلَّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾، أو بدلٌ عَن ﴿فِى يَوْمٍ﴾ إن عُلِّقَ به.

والمُهلُ: المذابُ في مَهَلٍ[1] كالفلزات، أو دُرْدِيُّ[2] الزيت.

(٩) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ المصبوغِ ألوانًا؛ لأنَّ الجبالَ مُختلفَةُ الألوانِ فإذا بُسَّتْ وطيرَتْ في الجوِّ أشبهَتِ العهنَ المنفوشَ إذا طيَّرَتْهُ الرِّيحُ.

(١٠) ـ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: ولا يسألُ قريبٌ قريبًا عن حالِه[3].

وعن ابنِ كثيرٍ: ﴿ولا يُسأَلُ﴾ على بناءِ المفعولِ[4]؛ أي: لا يُطلَبُ مِن حميمٍ حميمٌ، أو: لا يُسأَلُ مِنه حالُه.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئنافٌ، أو حالٌ تدلُّ على أنَّ المانعَ عَن السُّؤالِ هو التَّشاغلُ دونَ الخفاءِ، أو ما يغني عنه مِن مُشاهدةِ الحالِ كبَياضِ الوَجهِ وسَوادِه، وجمعُ الضَّميرينِ لعُمومِ الحَميمِ.

= لأنَّ معناهُ حينَئذٍ: قرُبَ وقوعُ العذابِ، فيظهرُ تفريعُ الأمرِ بالصَّبرِ عليه، والحاصلُ أنَّه مُتعلِّقٌ به على القراءاتِ كلِّها. قاله الشهاب.

(١) قولُه: «المُذابُ في مَهَلٍ»؛ أي: ما تقعُ إذابتُه في زمانٍ مُـمتَدٍّ، لا ما يُذابُ بسرعةٍ كالسَّمنِ. قاله الشهاب.

(٢) قوله: «أو دُرديُّ الزيت» عطف على «المذابُ». قال الشهاب: والدُّرْدِيُّ: بضمِّ الدّالِّ وتشديدِ الياءِ: ما يتجَمَّدُ في قَعرِه.

(٣) قوله: «ولا يسأل قريب قريبًا عن حاله» وقع بدلًا منه في نسخة التفتازاني: «استئناف أو حال».

(٤) وهي قراءة البزي عن ابن كثير بخلف عنه، وأبي جعفر، انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حالٌ مِن أحدِ الضَّميرينِ، أو استئنافٌ يدلُّ على أنَّ اشتغالَ كلِّ مجرمٍ بنفسِه بحيثُ يَتمنَّى أن يفتديَ بأقربِ النَّاسِ وأعلَقِهم بقلبِه فَضْلًا أن يهتمَّ بحالِه ويسألَ عنها.

وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم ﴿يومَئِذٍ﴾[١].

وقُرِئَ بتنوين (عذابٍ) ونصبِ (يومَئذ)[٢] به لأنَّه بمَعنى تَعذيبٍ.

(١٣) - ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: وعشيرَتِه الذين فُصِلَ عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تضمُّهُ في النَّسَبِ وعندَ الشَّدائدِ.

(١٤) - ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مـن الثَّقليـنِ أو الخلائـقِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطـفٌ على ﴿يَفْتَدِى﴾؛ أي: ثـمَّ لـو يُنْجيـهِ الافتداءُ و﴿ثُمَّ﴾ للاسـتبعادِ.

(١٥ - ١٦) - ﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ للمُجرمِ عن الودادةِ ودلالةٌ على أنَّ الافتداءَ لا ينجيهِ.

﴿إِنَّهَا﴾ الضَّميرُ للنَّارِ، أو مبهمٌ يفسِّرُه ﴿لَظَىٰ﴾ وهو خبرٌ أو بدلٌ.

أو للقصَّةِ[٣]، و﴿لَظَىٰ﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿نَزَّاعةٌ للشَّوَى﴾ وهو اللهبُ الخالصُ، وقيل: عَلَمٌ للنَّارِ منقولٌ عَن اللَّظى بمَعنى اللهبِ.

وقـرأَ حفـصٌ عَن عاصـمٍ: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنَّصـبِ[٤] على الاختِصـاصِ، أو الحالِ المؤكِّـدةِ أو المنتقلةِ علـى أنَّ ﴿لَظَىٰ﴾ بمعنـى: مُتلظِّيَةٍ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢) عن أبي حيوة.

(٣) في نسخة التفتازاني: «للشأن». وقال الشهاب: قولُه: (للقِصّةِ) معطوفٌ على قولِه: «للنّارِ».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٥) قولُه: «على الاختصاصِ»؛ يعني به تقديرَ «أعني» أو «أخُصُّ» لا مُصطلَحَ النُّحاةِ، والمُصنِّفُ كالزَّمخشريِّ يَستعمِلُه بهذا المعنَى كثيرًا، وقولُه: «المُؤكِّدةِ»؛ لأنَّه لا ينفَكُّ عنها التَّلَظِّي، وقولُه: «أو =

والشَّوَى الأطرافُ، أو جمعُ شواةٍ وهي جلدةُ الرَّأسِ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿تَدْعُوا﴾: تجذبُ وتحضرُ كقولِ ذي الرُّمَّةِ:

تَدْعُــو أَنْفَــهُ الرِّبَــبُ[1]

مجازٌ مِن جَذبِها وإحضارِها لِمَن فرَّ عنها.

وقيل: تَدْعُو زَبانيتَها.

وقيل: ﴿تَدْعُوا﴾: تُهلِكُ، مِن قولِهم: دعاهُ اللهُ: إذا أهلكَهُ.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الطَّاعةِ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾: وجمعَ المالَ فجعلَهُ في وعاءٍ، وكنَزَهُ حِرصًا وتأميلًا.

= المُنتقِلةِ» لانفِكاكِه بالزَّمْهَريرِ ومُخالطةِ الدُّخانِ، وقولُه: «على أنَّ ﴿لَظَى﴾ بمعنَى مُتلظِّيةٍ» فالحالُ منَ الضَّميرِ المُستترِ فيها لا من ﴿لَظَى﴾؛ لأنَّها نكرةٌ أو خبرٌ. قاله الشهاب.

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٧٧)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٦٢)، و«الصحاح» (مادة: ربب). وتمامه:

أَمْسَى بِوَهْبِينَ مجتازاً لِمَرْتَعِهِ ... مِنْ ذي الفوارِسِ تَدْعُو أَنْفَهُ الرِّبَبُ

قال الباهلي شارح الديوان: أي: أمسى الثور مجتازاً لمرتعه، أي: اجتاز ليطلب مرتعه. وقوله: «يدعو أنفه الربب» كأن الربب تدعو الثور إليها، والربب لا تدعوه، وإنما هذا مثلٌ، يقول: لما شم الثور الربب أتاها، وكأنها دعته إلى نفسها.

وقال الشهاب في «الحاشية»: وهبين وذو الفوارس علمان لموضعين، و«مجتازاً لمرتعه»؛ أي: مارًّا بمحلٍّ يرتع فيه، و«الربب» بالراء المهملة والباءين الموحدتين بزنة عنب: جمع رِبَّة بالكسر والتشديد، وهو النبت الذي يرعى بالصيف وليس نبتاً معيناً، و«تدعو» فيه بمعنى: تجذب وتحضر في الأصل، وتُجُوِّز به عن كونه نبتاً حسناً لا تفارقه البقر إذا رأته، فجعل ذلك كأنه يدعوها على أنه استعارة تمثيلية أو تبعية.

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: شـديدَ الحـرصِ قليلَ الصَّبرِ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الضرُّ ﴿جَزُوعًا﴾: يكثرُ الجزعَ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ﴾: السَّعةُ ﴿مَنُوعًا﴾: يبالِغُ فـي الإمساكِ، والأوصافُ الثَّلاثةُ أحوالٌ مقدَّرةٌ أو محقَّقةٌ؛ لأنَّها طبائعُ جُبِلَ الإنسانُ عليها(١)، و(إذا) الأولى ظرفٌ لـ﴿جَزُوعًا﴾ والأخرى لـ﴿مَنُوعًا﴾.

(٢٢) ـ ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ استثناءٌ للمَوصوفينَ بالصِّفاتِ المذكورةِ بعدُ مِـن المطبوعينَ على الأحوالِ المذكورةِ قبلُ؛ لِمُضادَّةِ تلك الصِّفاتِ لها مِن حيثُ إنَّها دالَّةٌ على الاستغراقِ في طاعةِ الحقِّ(٢)، والإشفاقِ على الخلقِ، والإيمانِ بالجزاءِ، والخوفِ مِن العُقوبَةِ، وكسرِ الشَّهوةِ، وإيثارِ الآجلِ على العاجلِ، وتلك ناشئةٌ مِن الانهماكِ في حُبِّ العاجلِ وقُصورِ النَّظَرِ عليه.

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾: لا يشغلُهُم عنها شاغِلٌ ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ كالزَّكَواتِ والصَّدَقاتِ الموظَّفَةِ ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾: للَّذي يَسألُ ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾: والذي لا يَسألُ فيُحسَبُ غَنيًّا فيُحرَمُ.

(٢٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تصديقًـا بأَعمالِهـم، وهـو أن يُتعِـبَ نفسَـهُ ويصـرِفَ مالَـهُ طمعًـا فـي المثوبـةِ الأُخرَوِيَّـةِ، ولذلـك ذُكِـرَ الدِّيـنُ.

---

(١) قولُه: «أحوالٌ مُقدَّرةٌ...»؛ لأنَّه في حالِ الخلقِ لـم يكُنْ كذلكَ، وإنَّما حصلَ له ذلك بعد تمامِ عقلِه ودخولِه تحتَ التَّكليفِ، إنْ أُريدَ اتِّصافُه بذلكَ بالفعلِ، فإن أُريدَ مَبدَأُ هذه الأمورِ منَ الأمورِ الجبلِّيَةِ والطَّبائعِ الكلِّيَةِ المُندَرجةِ فيها تلكَ الصِّفاتُ بالقوَّةِ كانَت الحالُ غيرَ مُقدَّرةٍ، بل مُحقَّقةٌ. قاله الشهاب في «الحاشية». وفي كلام المصنف ردٌّ لِـكلام الزمخشري في «الكشّافِ» منَ الانتصارِ لمذهبِه لـمّا رأى الآيةَ مُخالفةً له، وقد بيَّنه الشهاب أحسن بيان فلينظر ثمة.

(٢) في نسخة الفاروقي: «الطاعة للحق».

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفونَ على أنفُسِهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراضٌ يدلُّ على أنَّه لا ينبَغِي لأحدٍ أنْ يأمنَ عذابَ اللهِ وإن بالغَ في طاعَتِه.

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ سبقَ تفسيرُه في سُورةِ المُؤمنينَ.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: حافظونَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿لأمانتهم﴾[1] يعني: لا ينكرونَ ولا يُخفونَ ما علِموهُ مِن حُقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ.

وقرأ يعقوبُ وحفصٌ: ﴿بِشَهَادَاتِهِمْ﴾[2] لاختلافِ الأنواعِ.

(٣٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيراعونَ شَرائِطَها ويكملونَ فرائضَها وسُننَها.

وتكريرُ ذكرِ الصَّلاةِ ووَصفُهُم بها أوَّلًا وآخِرًا باعتبارينِ للدَّلالةِ على فضلِها وإنافَتِها[3] على غيرِها، وفي نظمِ هذه الصَّلاةِ مُبالغاتٌ لا تَخفَى[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩١).

(٣) «وإنافَتِها» بمعنَى: شرفِها وعُلوِّ قَدرِها؛ وجاء في هامش نسخة التفتازاني: «أي: إعلاء قدرها، يقال: أناف على كذا، إذا أشرف عليه».

(٤) ومُبالغاتُ هذه الصَّلاةِ هي: من جهةِ ما يُفيدُه الموصولُ من أنَّ صلتَه أمرٌ مُحقَّقٌ معلومٌ، وتقديمِ «هم» المُقوِّي للحكمِ، وتقديمِ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ الدّالِّ على أنَّ مُحافظَتَهم لأمورِ الآخرةِ لا يتجاوَزُها لأمورِ الدُّنيا، وصيغةِ المُفاعلةِ مع ما يُعرَفُ من تعظيمِ الموصوفِ لمَن له ذوقٌ سليمٌ. قاله الشهاب.

(٣٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ بثوابِ اللهِ.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولَك ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مُسرعينَ ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فرقًا شتَّى: جمعُ عِزَةٍ، وأصلُها: عِزوَةٌ، مِن العَزْو، كأنَّ كلَّ فرقةٍ تعتَزِي إلى غيرِ مَن تعتَزِي إليه الأُخرى.

كان المشركونَ يحلِّقونَ حولَ رسولِ اللهِ حَلَقًا حَلَقًا ويَستهزِئُونَ بكَلامِه[١].

(٣٨) ـ ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ بلا إيمانٍ، وهو إنكارٌ لقولهم: لو صحَّ ما يقولُه لَنكونُ فيها أفضلَ حظًّا منهم كما في الدُّنيا.

(٣٩) ـ ﴿كَلَّآۖ﴾ ردعٌ لهم عن هذا الطَّمعِ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ تعليلٌ له، والمعنى: إنَّكُم مَخلوقونَ مِن نُطفةٍ قَذِرةٍ لا تناسِبُ عالمَ[٢] القُدسِ، فمَنْ لَمْ يَسْتكْمِلِ بالإيمانِ والطَّاعةِ ولم يتخلَّقْ بالأخلاقِ الملكيَّةِ لم يستعدَّ دُخولَها[٣].

أو: إنَّكُم مَخلوقونَ مِن أجلِ ما تعلمونَ، وهو تكميلُ النَّفسِ بالعلمِ والعملِ[٤]، فمَنْ لم يَستكْمِلْها لم يُبَوَّأْ في مَنازلِ الكاملينَ.

أو استدلالٌ بالنَّشأةِ الأولى على إمكانِ النَّشأةِ الثَّانيةِ التي بنوا الطَّمعَ على فَرْضِها فَرْضًا مستحيلًا عندَهُم بعد رَدعِهِم عنه[٥].

---

(١) دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٣٦٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٤٥).

(٢) في نسخة الفاروقي: «جوار».

(٣) قولُه: «لم يستَعِدَّ دُخولَها» ضمَّنَه معنى «يستَحِقُّ» فعدَّاهُ بنفسِه، ولولاه كان الظَّاهرُ أن يقولَ: «لدُخولِها»؛ فإنَّه يتعدَّى باللَّامِ، فالمُرادُ على هذا بـ«ما يعلَمونَ» النُّطفةُ، و«مِن» ابتدائيَّةٌ، وضميرُ «دُخولها» للجنَّةِ. قاله الخفاجي.

(٤) قولُه: «أو إنَّكم مخلوقُونَ من أجلِ ما تعلَمُونَ» فـ«مِن» تعليليَّةٌ، و«ما» الموصولةُ عبارةٌ عن العلمِ والعملِ، فهو كقولِه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قاله الخفاجي.

(٥) قولُه: «أو استِدلالٌ» معطوفٌ على قولِه: «تعليلٌ»، وقولُه: (بعدَ رَدْعِهم) يتعلَّقُ بقولِه: «استِدلالٌ»، =

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: أن نهلكَهُـم ونأتـيَ بخلـقٍ أمثَلَ مِنْهُـم، أو نُعطـيَ محمدًا بدلَهُـم مَن هو خيـرٌ مِنْهُم وهم الأنصـارُ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: بمغلوبيـنَ إن أرَدْنـا.

(٤٢) ـ ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ مرَّ في آخرِ الطُّورِ.

(٤٣) ـ ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾: مُسرعينَ إلى الداعي جمعُ سَريعٍ ﴿كأنهم إلى نُصْبٍ﴾ منصوبٍ للعبادةِ أو عَلَمٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرِعُونَ.

وقـرأ ابنُ عامرٍ وحَفصٌ: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمِّ النُّونِ والصَّادِ، والباقونَ مِن السَّبعةِ: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتحِ النُّونِ وسُكونِ الصَّادِ[1]، وقُرِئَ بالضمِّ[2] على أنَّه تخفيفُ ﴿نُصُبٍ﴾ أو جمع ﴿نَصْبٍ﴾.

(٤٤) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ مرَّ تَفسيرُه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا.

عن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأ سُورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أعطاهُ اللهُ ثوابَ الذينَ هم لأماناتِهِم وعهدِهِم راعونَ»[3].

* * *

= وضميرُ «عنه» للطَّمعِ. قاله الخفاجي.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٢) أي: مع سكون الصاد، وهي رواية عن ابن عامر في غير المشهور عنه. انظر: «جامع البيان» للداني (٤/ ١٦٥٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٧٠) سورة المعارج مكية
وآياتها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ أي استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾. قال النسائي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾، قال (النضر ابن الحارث) وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: ذلك سؤال الكفّار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال وهو قولهم: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ للكافرين ﴾ أي مرصد معد للكافرين، ﴿ ليس له دافع ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه، ولهذا قال تعالى: ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال ابن عباس: ذو الدرجات، وعنه: ذو العلو والفواضل، وقال مجاهد ﴿ ذي المعارج ﴾ معارج السماء، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، وقوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قال قتادة ﴿ تعرج ﴾: تصعد، وأما الروح فيحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء، كما دل عليه حديث البراء، في قبض الروح الطيبة وفيه: « فلا يزال يصعد بهـا من سماء إلى سماء، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ».

وقوله تعالى: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فيه أربعة أقوال: **أحدها**: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين، إلى منتهى أمره

من فوق السماوات خمسين ألف سنة(١). **القول الثاني**: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله عزَّ وجلَّ يوماً. وعن عكرمة: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عزَّ وجلَّ(٢). **القول الثالث**: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً، روي عن محمد بن كعب قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة(٣). **القول الرابع**: أن المراد بذلك يوم القيامة، وبه قال الضحّاك وابن زيد وعكرمة، وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال: هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال، قيل لرسول الله ﷺ: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»(٤). وقال الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمي عليها في نار جهنم، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(٥).

وقوله تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله تعالى: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾، ولهذا قال: ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ونراه قريباً﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، ولكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي كدردي الزيت، ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أي كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وتكون

---

(١) رواه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه أحمد وابن جرير.

(٥) أخرجه الإمام أحمد.

الجبال كالعهن المنفوش﴾، وقوله تعالى: ﴿ولا يسأل حميم حميماً يبصّرونهم﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره. قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾، وكقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وقوله تعالى: ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلا﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، قال مجاهد والسدي: ﴿فصيلته﴾ قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم، وقوله: تعالى: ﴿إنها لظى﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نزاعة للشوى﴾، قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وعن ابن عباس: ﴿نزاعة للشوى﴾ الجلود والهام، وقال أبو صالح ﴿نزاعة للشوى﴾ يعني أطراف اليدين والرجلين، وقال الحسن البصري: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح، وقال الضحّاك: تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿تدعوا من أدبر وتولى * وجمع فأوعى﴾ أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وجمع فأوعى﴾ أي جمع المال بعضه على بعض، فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه، من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، وقد ورد في الحديث: «ولا توعي فيوعي الله عليك»، وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً، يقول، سمعت الله يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا، وقال قتادة في قوله ﴿وجمع فأوعى﴾ قال: كان جموعاً قموماً للخبيث.

* إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ أي إذا مسه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصله

له بعد ذلك خير ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها. وفي الحديث: «شر ما في الرجُل: شح هالع وجُبن خالع»[1]. ثم قال تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ أي إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه وهم المصلون ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ **قيل**: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قاله ابن مسعود، **وقيل**: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قاله عقبة بن عامر، ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة؛ فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده لم يسكن فيها ولم يدم، بل ينقرها نقر الغراب، فلا يفلح في صلاته؛ **وقيل**: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه، وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه، وقوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، ولهذا قال تعالى: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون وجلون، ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لا يأمنه أحد إلا بأمان من الله تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي من الإماء، ﴿فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقد تقدم تفسير هذا بما أغنى عن إعادته ههنا[2]، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾، ثم قال تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة، واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى منكراً على الكفّار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وهم مشاهدون لما أيده الله به من المعجزات

(١) رواه أبو داود.

(٢) تقدم تفسيره في أول سورة ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.

الباهرات، ثم هم شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً ، ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ۝ فرت من قسورة﴾ ، قال تعالى : ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ أي فما لهؤلاء الكفّار الذين عندك يا محمد ﴿ مهطعين﴾ أي مسرعين نافرين منك ، قال الحسن البصري ﴿ مهطعين﴾ أي منطلقين، ﴿ عن اليَمين وعن الشمال عزين﴾ واحدها عزة أي متفرقين، وقال ابن عباس: ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ قال: قبلك ينظرون ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ العزين : العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به، وعن الحسن في قوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل ؟ وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق فقال: « مالي أراكم عزين ؟ »[1] . وقوله تعالى: ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ۝ كلا﴾ أي أيطمع هؤلاء ، والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ، ونفارهم عن الحق، أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا ، بل مأواهم جهنم، ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم مستدلاً عليهم بالبداءة: ﴿ إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين﴾، وقال: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ۝ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ أي الذي خلق السماوات والأرض، وسخّر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، ﴿ إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هـذه فإن قدرته صالحة لذلك، ﴿ وما نحن بمسبوقين﴾ أي بعاجزين، كما قال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ۝ بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾، وقال تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ۝ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾، واختار ابن جرير ﴿ على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم . ثم قال تعالى: ﴿ فذرهم﴾ أي يا محمد ﴿ يخوضوا ويلعبوا﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله، ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ أي يقومون من القبور ، إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعاً ﴿ كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ قال ابن عباس: إلى علَم يسعون، وقال أبو العالية: إلى غاية يسعون إليها. ﴿ نُصُب﴾ بضم النون والصاد وهو الصنم، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، ﴿ يوفضون﴾ يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهـذا مروي عن مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرهم، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم﴾ أي خاضعة ﴿ ترهقهم ذلة﴾ أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ .

[آخر تفسير سورة سأل سائل ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ومسلم والنسائي بنحوه .

تفسير سورة سأل سائل

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾ .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقَدر : يستعجل سائل بعذاب واقع . كقوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج:٤٧] ، أى : وعذابه واقع لا محالة .

قال النسائى : حدثنا بشر بن خالد ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المِنْهَال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع .

وقال ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة ، قال : وهو قولهم : ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أى : واد فى جنهم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد . والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أى : مُرصد مُعَدّ للكافرين .

وقال ابن عباس : ﴿ وَاقِعٍ ﴾ : جاء ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ أى : لا دافع له إذا أراد الله كونه ؛ ولهذا قال : ﴿ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ قال الثورى ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ قال : ذو الدرجات .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ يعنى : العلو والفواضل .

وقال مجاهد: ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذى الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾: قال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة: ﴿ تَعْرُجُ﴾ : تصعد .

وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشبهون الناس ، وليسوا ناسا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء . وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، من حديث المِنْهَال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعاً ــ الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة ــ قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء [١] السابعة » . والله أعلم بصحته ، فقد تُكلم فى بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد فى حديث أبى هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه ، من طريق ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد ابن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز فى وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبى حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حَكَّام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعنى بذلك : تَنَزُّلَ الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن حَكَّام بن سلم ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس [٢] .

قال ابن أبى حاتم : وحدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطُّنَافسىّ ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا نوح المؤدب ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام . وغلظ كل سماء

---

(١) فى م : « السماء التى فيها الله » .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩ / ٤٤) .

خمسمائة عام ، وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ .

القول الثانى : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو زُرْعَة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ سَنَةٍ** ﴾ قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها الله تعالى يوم ، ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ** ﴾ قال: اليوم: الدنيا.

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ـ وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدرى أحدٌ كم مضى ، ولا كم بقى إلا الله، عز وجل (١) .

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جداً .قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق (٢) ، حدثنا موسى ابن عبيدة ، أخبرنى محمد بن كعب : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن سِنان الواسطى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . ورواه الثورى عن سِماك بن حرب ، عن عكرمة ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وقد وردت أحاديث فى معنى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ : ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا » .

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٣) .

(٢) فى أ : « بهلول بن المعروف » .

ورواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به [١] . إلا أن درّاجا وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبى عمر الغُدانى قال : كنت عند أبى هُرَيرة فمر رجل من بنى عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامرى مالا . فقال أبو هريرة : ردوه [٢] . فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامرى : إى والله ، إن لى لمائة حُمْراً ومائة أدماً ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق، ورباط الخيل فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلافَ النعم [٣] ــ يُرَدّد ذلك عليه ، حتى جعل لونُ العامرى يتغير ــ فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من كانت له إبلٌ لا يعطى حقها فى نجدتها ورِسْلها ــ قلنا يا رسول الله : ما نجدتُها ورِسْلُها ؟ قال : « فى عُسرها ويسرها ــ » فإنها تأتى يوم القِيامة كأغذّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولا عضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله » . فقال العامرى : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى الكريمة ، وتمنح الغَزيرَة ، وتفقر الظهر ، وتَسقىَ اللبن[٤]، وتُطرقَ الفحل .

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والنسائى من حديث سعيد بن أبى عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به [٥] .

طريق أخرى لهذا الحديث : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، عن سُهَيل [٦] بن أبى صالح، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كنز لا يودى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها بجهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . وذكر بقية الحديث فى الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخيل لثلاثة ؛ لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى

(١) المسند (٣/ ٧٥) وتفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) ودراج عن أبى الهيثم ضعيف .
(٢) فى أ :«ردوه إلىّ » . (٣) فى م : « الغنم » . (٤) فى م :« وتسقى الإبل » .
(٥) المسند (٢/ ٤٨٩) وسنن أبى داود برقم (١٦٦٠) وسنن النسائى (٥/ ١٢) .
(٦) فى أ :« عن سهل » .

رجل وزر » إلى آخره [(١)] .

ورواه مسلم فى صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخارى ، من حديث سُهَيل [(٢)] ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرة [(٣)] ، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه فى كتاب الزكاة فى « الأحكام » ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقد روى ابن جرير عن يعقوب [(٤)] عن ابن عُلَيَّة وعبد الوهاب ، عن أيوب ، عن ابن أبى مُلَيْكَة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : فاتهمه ، فقيل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثنى . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول فى كتاب الله بما لا أعلم [(٥)] .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ أى : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ، كقوله : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى:١٨] قال : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ أى : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنى مستحيل الوقوع ، ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ أى : المؤمنون يعتقدون كونه قريبا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله، عز وجل ،لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨ ﴾ .

يقول تعالى : العذابُ واقع بالكافرين ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدى ، وغير واحد ، كدُرديّ الزيت ، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ أى : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدى . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة:٥] .

وقوله : ﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أى : لا يسأل القريب عن حاله ، وهو يراه فى أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفى عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض

(١) المسند (٢/ ٢٦٢) .
(٢) فى أ : « سهل » .
(٣) صحيح مسلم برقم (٩٨٧) .
(٤) فى أ : « عن منصور » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) .

بعد ذلك ، يقول : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه ﴾ .

وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِه وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِه شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [لقمان:٣٣] . وكقوله : ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر:١٨] . وكقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُون ﴾ [المؤمنون:١٠١] . وكقوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه . وَأُمِّهِ وَأَبِيه . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] .

وقوله : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه . وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه . كَلَّا ﴾ أى : لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض ، وبأعز ما يجده من المال ، ولو بملء الأرض ذهباً ، أو من ولده الذى كان فى الدنيا حُشَاشة كبده ، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ، ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدى : ﴿ فَصِيلَتِه ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة: فَخذه الذى هو منهم . وقال أشهب ، عن مالك : ﴿ فَصِيلَتِه ﴾: أمه.

وقوله : ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو صالح : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ يعنى : أطراف اليدين والرجلين . وقال أيضا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصرى ، وثابت البنانى : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضا : تحرق كل شىء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : نزاعة لهامته ومكارم وَجهه وخَلْقَه وأطرافه . وقال الضحاك : تبرى اللحم والجلد عن العظم ، حتى لا تترك منه شيئاً . وقال ابن زيد : الشوى : الآراب العظام . فقوله : نزاعة ، قال : تقطع عظامهم ، ثم يُجَدد خلقهم وتبدل جلودهم .

وقوله : ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلَق ذَلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم ـ كما قال الله ،عز وجل ـ كانوا ممن ﴿ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى : كذب بقلبه ،وترك العمل بجوارحه ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أى : أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث : « ولا تُوعى فَيُوعى الله عليك » (١) وكان عبد الله بن عُكيم لا يربط له كيسا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ .

وقال الحسن البصرى : يا بن آدم ، سمعتَ وعيدَ الله ثم أوعيتَ الدنيا .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ قال : كان جَمُوعاً قمُوماً للخبيث .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٤٣٤) ومسلم فى صحيحه برقم (١٠٢٩) من حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق ، رضى الله عنهما.

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ، ثم فسره بقوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ أى : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ أى : إذا حصلت له [(١)] نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عُلَيّ بنُ رَبَاح : سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « شر ما فى رجل شُحٌ هالع ، وجبن خالع » .

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبى عبد الرحمن المقرى ، به [(٢)]. وليس لعبد العزيز عنده سواه .

ثم قال : ﴿ إِلا الْمُصَلِّينَ ﴾ أى : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه ، وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ قيل: معناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم . قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعى .

وقيل : المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع ، كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:١ ، ٢] . قاله عتبة بن عامر . ومنه الماء الدائم ، أى:الساكن الراكد .

وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء فى الصحيح عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلّ » . وفى لفظ : « ما داوم عليه صاحبه » ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه. وفى لفظ : أثبته [(٣)] .

---

(١) فى م : « عنده » .

(٢) المسند (٢/ ٣٢٠) وسنن أبى داود برقم (٢٥١١) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٣، ٦٤٦٥) وصحيح مسلم برقم (٧٨٥) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال ، عليه السلام ، نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خُلُق للمؤمنين حسن .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ أى : فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة الذاريات » .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أى : خائفون وجلون ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أى : لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ أى : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله [فيه] (١) . ولهذا قال : ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أى : من الإماء ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .وقد تقدم تفسير ذلك فى أول سورة (٢) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أى : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد فى (٣) الحديث الصحيح : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . وفى رواية : « إذا حَدَّث كذب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » (٤) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ أى : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ، ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ (٥) يُحَافِظُونَ ﴾ أى : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم فى أول سورة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، سواء ؛ ولهذا قال هناك : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ ، ١١] ، وقال هاهنا : ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أى : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ

---

(١) زيادة من م . (٢) فى م: « سورة المؤمنون » . (٣) فى م: « كما ورد به» .

(٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٨ من سورة المؤمنون .

(٥) فى أ :« على صلاتهم ».

الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا فى زمن [١] النبى ﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى وأيده الله به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه، شاردون يميناً وشمالاً ، فِرَقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** ﴾ الآية [المدثر:٤٩ ـ ٥١] وهذه مثلها ؛ فإنه قال تعالى : ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**﴾ أى : فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى: مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصرى: ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى : منطلقين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ واحدها عِزَةٌ ، أى : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أى : فى حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب .

وقال العوفى ، عن ابن عباس: ﴿ **فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** ﴾ قال : قبلك ينظرون ، ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن الحسن [٢] فى قوله : ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**﴾ متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالا يقولون : ما قال هذا الرجل ؟

وقال قتادة : ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ أى : فِرَقاً حول النبى ﷺ لا يرغبون فى كتاب الله ، ولا فى نبيه ﷺ .

وقال الثورى ، وشعبة ، وعيسى بن يونس وعَبْثَر بن القاسم [٣] ، ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ؛ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم [٤] وهم حلق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ »

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن جرير ، من حديث الأعمش ، به [٥] .

---

(١) فى أ :« فى زمان » .
(٢) فى م : « عن الحسين » .
(٣) فى م : « وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس » .
(٤) فى م : «خرج على أصحابه » .
(٥) المسند (٥/ ٩٣) وصحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبى داود برقم (٤٨٢٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٢٢) وتفسير الطبرى (٥٤/٢٩) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق حِلَق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ » (١) .

وهذا إسناد جيد ، ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ أى : أيطمع هؤلاء ــ والحالة هذه ــ من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق ــ أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده ، مستدلا عليهم بالبداءة التى الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : من المني الضعيف ، كما قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠] . وقال : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٥ ــ ١٠] .

ثم قال : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أى : الذى خلق السموات والأرض ، وجعل مشرقا ومغربا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فى مغاربها . وتقرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة . ولهذا أتى بـ « لا » فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى ، وهومضمون الكلام ، وهو الرد على زعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة ، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ؛ ولهذا قال تعالى :﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ (٢) الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] . وقال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨١ ، ٨٢] . وقال هاهنا : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ أى : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : بعاجزين . كما قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: ٣ ، ٤] . وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٠ ، ٦١] .

واختار ابن جرير ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ أى : أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها ، كقوله : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] . والمعنى الأول أظهر لدلالة

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٥٤) .

(٢) فى أ : « أو ليس » .

الآيات الأخر عليه ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أى : يا محمد ﴿ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أى : دعهم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُون ﴾ أى : فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أى : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب ، تبارك وتعالى ، لموقف الحساب ، ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إلى عَلَم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبى كثير : إلى غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : « نَصْب » بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى المنصوب . وقرأ الحسن البصرى : ﴿ نُصُبٍ ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أى : كأنهم فى إسراعهم إلى الموقف كما كانوا فى الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون ، أيهم يستلمه أول . وهذا مروى عن مجاهد ، ويحيى بن أبى كثير ، ومسلم البَطين [1] ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع ابن أنس ، وأبى صالح ، وعاصم بن بَهْدَلَة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أى : خاضعة ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أى : فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة ، ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

آخر تفسير سورة « سأل سائل » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى م : « وأبو مسلم البطين » .

سورة المعارج

مكيّة، وهي أربع وأربعون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أي: دعا داع ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ أي: استدعاه وطلبه وهو النَّضْر بن الحارث حيث قال إنكارًا واستهزاءً: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال، ٨/٣٢].[1] / وقيل: أبو جهل، [٢٢٤و] حيث قال: ﴿أَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء، ٢٦/١٨٧]. وقيل: هو الحارث بن النُّعمان الفِهري، وذلك أنّه لمّا بلغه قول النبيّ[2] صلّى الله عليه وسلّم في عليّ رضي الله عنه: «مَن كنت مولاه فعليّ مَولاه»،[3] قال: «اللّٰهمّ إن كان ما يقول محمّد حقًّا فأمطر علينا حجارةً مِن السماء»، فما لبث حتّى رماه الله تعالى بحَجر فوقَع على دِماغه فخرج مِن أسفله، فهلك مِن ساعته. وقيل: هو الرسول صلّى الله عليه وسلّم استعجل عذابهم.[4]

وقُرئ: "سَالَ"،[5] وهو إمّا مِن السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مرّ، أو مِن السَّيلان، ويؤيّده أنّه قُرئ: "سَالَ سَيْلٌ"،[6] أي: اندفع وادٍ بعذاب واقع.

---

[1] مرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٩؛ واللباب لابن عادل، ١٩/٣٥٠.

[2] س ي: رسول الله.

[3] مسند أحمد، ٢/٧١ (٦٤١)؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ٢/٥٦٩ (٩٥٩)؛ سنن الترمذي، ٥/٦٣٣ (٣٧١٣).

[4] الأقوال الثلاثة في اللباب لابن عادل، ١٩/٣٥٠-٣٥١.

[5] قرأ بها أبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٠.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وزيد بن ثابت. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٢٨.

وصيغةُ الماضي للدلالة على تحقّق وقوعه إمّا في الدنيا وهو عذاب يوم بدر، فإنّ النَّضر قُتل يومئذ صَبْرًا،[1] وقد مرّ حال الفِهري،[2] وإمّا في الآخرة فهو عذاب النار.

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ صفة أخرى لـ﴿عَذَابٍ﴾ أي: كائن للكافرين، أو صلة لـ﴿وَاقِعٍ﴾ أو متعلّق بـ﴿سَأَلَ﴾،[3] أي: دعا للكافرين بعذاب واقع. وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ صفة أخرى لـ﴿عَذَابٍ﴾، أو حال منه لتخصّصه بالصفة أو بالعمل، أو مِن الضمير في ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ على تقدير كونه صفةً لـ﴿عَذَابٍ﴾، أو استئناف.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلّق بـ﴿وَاقِعٍ﴾ أو بـ﴿دَافِعٌ﴾، أي: ليس له دافع مِن جهته تعالى. ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعِد التي تصعَد فيها الملائكة بالأوامر والنّواهي، أو هي عبارة عن السماوات المترتّبة بعضُها فوق بعض.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ عليه السلام، أُفرِد بالذِّكر لتميّزه وفَضْله. وقيل: ﴿ٱلرُّوحُ﴾ خَلْق هم حفَظة على الملائكة كما أنّ الملائكة حفَظة على الناس.[4] ﴿إِلَيۡهِ﴾ إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أوامره تعالى. وقيل: هو مِن قبيل قول إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات، ٩٩/٣٧]، أي: إلى حيث أمرني به.[5]

﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ ممّا يعدّه الناس. وهو بيان لغاية
[٢٢٤ظ] ارتفاع تلك المعارج وبُعد مداها على مِنهاج التمثيل والتخييل، / والمعنى أنّها مِن الارتفاع بحيث لو قُدّر قَطْعها في زمان لَكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنةٍ مِن سِني الدنيا. وقيل: معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدارَ خمسين ألف سنةٍ، أي: يقطعون في يومٍ ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنةٍ لو فُرض ذلك.[6]

---

١ الصَّبر: نصب الإنسان للقتل، وأصل الصَّبر: الحبسُ. لسان العرب لابن منظور، «نيط».

٢ يعني: مرّ آنفًا.

٣ وفي هامش م: على الوجه الأخير. «منه».

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٩/٤. وسيأتي تفصيل وجوه تأويل "الروح" في تفسير النبأ، ٣٨/٧٨.

٥ القول في اللباب لابن عادل، ٣٥٤/١٩.

٦ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٦/٣.

وقيل: ﴿فِي يَوۡمٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾. وقيل: بـ"سالَ" على تقدير كونه مِن السَّيلان، فالمراد به يوم القيامة، واستطالته إمّا لأنّه كذلك في الحقيقة، أو لشدَّته على الكفّار، أو لكثرة ما فيه مِن الحالات والمحاسَبات.[1]

وأيًّا ما كان فذلك في حقّ الكافر، وأمّا في حقّ المؤمن فلا، لِما روى أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه أنّه قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما أطولَ هذا اليوم! فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى إنّه يكون أخفّ مِن صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا».[2]

وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ متعلِّق بـ﴿سَأَلَ﴾؛ لأنّ السؤال كان عن استهزاء وتعنُّت وتكذيب بالوحي، وذلك ممّا يُضجره عليه السلام أو كان عن تضجّر واستبطاء للنصر، أو بـ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾، أو "سَالَ سَيْلٌ" فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعِه فقد شارفتَ الانتقام.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨﴾

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي: العذابَ الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلُّق ﴿فِي يَوۡمٍ﴾[3] بـ﴿وَاقِعٍ﴾.[4] ﴿بَعِيدٗا﴾ أي: يستبعدونه بطريق الإحالة فلذلك يسألون به.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ هيِّنًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذِّر، على أنّ البُعد والقرب معتبران بالنسبة إلى الإمكان، والجملة تعليل للأمر بالصبر.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ متعلِّق بـ﴿قَرِيبٗا﴾، أي: يمكن ولا يتعذَّر في ذلك اليوم، أو بمضمَر دلّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾، أو بمضمَر مؤخَّر، أي:

---

[1] القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٦٠.

[2] مسند أحمد، ٢٤٦/١٨ (١١٧١٧)؛ صحيح ابن حبّان، ٣٢٩/١٦ (٧٣٣٤)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٨٠/٦ (الفرقان، ٢٥/٢٦).

[3] في الآية الرابعة مِن هذه السورة.

[4] في الآية الأولى مِن هذه السورة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾... إلخ، يكون مِن الأحوال والأهوال ما لا يُوصَف، أو بدل مِن ﴿فِى يَوْمٍ﴾ على تقدير تعلُّقه بـ﴿وَاقِعٍ﴾.

هذا ما قالوا، ولعلّ الأقربَ أنّ قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ حكاية لسؤالهم
[٢٢٥و] / المعهود على طريقة قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف، ١٨٧/٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس، ٤٨/١٠]، ونحوِهما؛ إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النَّضْر أو أبو جهل أو الفهري، فالسؤال بمعناه و"الباء" بمعنى "عن"، كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان، ٥٩/٢٥]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾... إلخ،[١] استئناف مَسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالةَ. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٢] مترتِّب عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ تعليل للأمر بالصبر كما ذُكر. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾... إلخ، متعلِّق بـ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾،[٣] أو بما يدلّ هو عليه، أي: يقع يوم تكون السماء كالمُهل، وهو ما أُذيب على مهَل مِن الفِلِزّات. وقيل: دُرديّ الزيت.[٤]

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا لاختلاف ألوان الجبال، منها ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا[٥] وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر، ٢٧/٣٥]، فإذا بُسّت وطُيّرت في الجوّ أشبهت العِهن المنفوش إذا طيّرته الريح.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يسأل قريب قريبًا مِن[٦] أحواله ولا يُكلِّمه، لابتلاء كلّ منهم بما يشغله عن ذلك. وقُرِئ على البناء للمفعول،[٧] أي: لا يطلب مِن حميم حميمُه أو لا يُسأل منه حالُه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصَّر الأحِمّاء الأحِمّاءَ فلا يَخفَون عليهم، وما يمنعهم مِن التساؤل إلّا تشاغلهم بحال أنفسهم. وقيل: ما يغني عنه مِن مشاهدة الحال

---

١ في الآية الثانية مِن هذه السورة.
٢ في الآية الخامسة مِن هذه السورة.
٣ في الآية الثانية مِن هذه السورة.
٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٠/٤.
٥ م س - ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾.
٦ س: عن.
٧ قرأ بها أبو جعفر والبزيّ بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.

كبياض الوجه وسواده.[١] والأوّل أدخَلُ في التهويل. وجَمْع الضميرين لعموم الحميم. وقُرئ: "يَبْصِرُونَهُمْ".[٢] والجملة استئناف.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنّى الكافر. وقيل: كلّ مُذنِب.[٣] وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: العذاب الذي ابتلُوا به يومئذ ﴿بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حكاية لودادتهم.

و﴿لَوْ﴾ في معنى التمنّي. وقيل: هي بمنزلة "أنْ" الناصبة،[٤] فلا يكون لها جواب، وينسبِك منها وممّا بعدها مصدر يقع مفعولًا لـ﴿يَوَدُّ﴾، والتقدير يودّ افتداءه ببنيه... إلخ، والجملة استئناف لبيان أنّ اشتغال كلّ مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنّى أن / يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقِهم بقلبه فضلًا أن يهتمّ [٢٢٥ظ] بحاله ويسأل منها. وقُرئ: "يَوْمَئِذٍ"[٥] بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكّن، وبتنوين ﴿عَذَابِ﴾ ونصبِ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾،[٦] وانتصابه بـ﴿عَذَابِ﴾ لأنّه في معنى تعذيب.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته التي فُصل عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ أي: تضمُّه في النسب أو عند الشدائد.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن الثقلين والخلائق، و﴿مَن﴾ للتغليب. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطفٌ على ﴿يَفْتَدِى﴾، أي: يودّ لو يفتدي ثمّ لو ينجيه الافتداء، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني يتمنّى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثمّ ينجيه ذلك وهيهات.

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع إنجاء الافتداء. وضمير ﴿إِنَّهَا﴾ إمّا للنار المدلول عليها بذِكر العذاب، أو هو مبهَم تُرجِم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى: ﴿لَظَىٰ﴾ وهي عَلَم للنار منقول مِن اللظى بمعنى اللهب.

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٦/٣-٤٤٧.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن قتادة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ٣٦١/١٩.

٤ ذكره العكبري في التبيان، ١٢٤٠/٢، ونقله ابن عادل في اللباب، ٣٦٤/١٩.

٥ قرأ بها أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢٨٩/٢.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة واليماني. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٥.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ نصب على الاختصاص، أو حال مؤكِّدة، والشَّوى: الأطراف، أو جمع شَواة وهي جلد الرأس. وقُرئ: "نَزَّاعَةٌ"[١] بالرفع على أنّه خبر ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾، أو هو الخبر و﴿لَظَىٰ﴾ بدل مِن الضمير، أو الضمير للقصّة و﴿لَظَىٰ﴾ مبتدأ و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبره.

﴿تَدْعُواْ﴾ أي: تجذب وتُحضِرُ. وقيل: تدعو وتقول لهم: إليّ إليّ يا كافرُ يا منافقُ. وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثمّ تلتقِطهم التقاطَ الحبّ. وقيل: تدعو: تُهلِك. وقيل: تدعو زبانيتها.[٢] ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ أي: عن الحقّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرَض عن الطاعة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ أي: جَمَع المال فجعله في وعاء وكَنَزه، ولم يؤدِّ زكاته وحقوقه، وتشاغل به عن الدِّين، وزُهيَ باقتنائه حرصًا وتأميلًا.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الهَلَع: سرعة الجَزَع عند مسّ المكروه وسرعة المَنْع عند مسّ الخير، وقد فسّره أحسنَ تفسير قولُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر
[٢٢٦و] والمرض ونحوهما ﴿جَزُوعًا﴾ أي: مُبالِغًا / في الجَزَع مكثِرًا منه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ أي: السَّعة والصحّة ﴿مَنُوعًا﴾ مُبالِغًا في المنع والإمساك. والأوصافُ الثلاثة أحوال مقدَّرة أو محقَّقة؛ لأنّها طبائعُ جُبل الإنسان عليها. و﴿إِذَا﴾ الأولى ظرف لـ﴿جَزُوعًا﴾ والثانية لـ﴿مَنُوعًا﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناء للمتَّصفين بالنعوت الجليلة الآتية مِن المطبوعين على القبائح الماضية؛ لأنباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحقّ، والإشفاقِ

---

١ قرأ بها العشرة إلّا حفصًا. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.

٢ الأقوال الأربعة في الكشّاف للزمخشري، ٤٦١/٤.

على الخلق، والإيمانِ بالجزاء، والخوف مِن العقوبة وكَسْر الشَّهوة، وإيثار الآجِل على العاجل، على خلاف القبائح المذكورة الناشئة مِن الانهماك في حبّ العاجل وقَصْر النظر عليه.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ لا يشغَلهم عنها شاغل.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ أي: نصيب معيَّن يستوجبونه على أنفسهم تقرُّبًا إلى الله تعالى وإشفاقًا على النّاس مِن الزكاة المفروضة والصدقات المُوظَّفة.

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ للذي يسأله ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأله، فيُظنّ أنّه غَنيّ فيُحرَم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بأعمالهم حيث يُتعبون أنفسهم في الطاعات البدنيّة والماليّة طمعًا في المثوبة الأخرويّة بحيث يُستدلّ بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم مع ما لهم مِن الأعمال الفاضلة استقصارًا لها واستعظامًا لجنابه عزّ وجلّ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون، ٢٣/٦٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراضٌ مؤذِن بأنّه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ سلَف تفسيره في سورة المؤمنين.[1]

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ أي: طلَب لنفسه ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ وراء ما ذُكر مِن الأزواج والمملوكات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المبتغون ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المتعدُّون لحدود الله تعالى.

---

[1] في تفسير الآيتين الخامسة والسادسة منها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ لا يُخلّون بشيء مِن حقوقها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: مقيمون لها بالعدل إحياءً لحقوق الناس. وتخصيصُها بالذِّكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة / فضلها. وقُرئ: "لِأَمَانَتِهِمْ"[١] و"بِشَهَادَتِهِمْ"[٢] على إرادة الجنس. [٢٢٦ظ]

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يُراعون شرائطها ويكمِّلون فرائضها وسُننها ومستحَبّاتِها وآدابَها. وتكريرُ ذِكر الصّلاة ووَصْفهم بها أوّلًا وآخرًا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات. وتكريرُ الموصولات لتنزيل اختلاف الصفاتِ منزلةَ اختلاف الذوات، كما في قول مَن قال:

إلى المَلِك القَرْم وابنِ الهُمامِ   وليثِ الكتائب في المُزدَحَمْ[٣]

إيذانًا بأنّ كلّ واحد مِن الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله، له شأن خطير مُستتبع لأحكام جمّة، حقيق بأن يفرَد له موصوف مستقلّ ولا يُجعَل شيء منها تتمّةً للآخر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الموصوفين بما ذُكر مِن الصفات، وما فيه مِن معنى البُعد مع قُرب العهد بالمُشار إليهم للإيذان بعلوّ شأنهم وبُعد منزلتهم في الفضل، وهو مبتدأ خبرُه ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: مستقِرُّون في جنّات لا يُقادَر قَدْرها ولا يُدرَك كُنهها.

وقوله تعالى: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ خبر آخرُ، أو هو الخبر و﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ متعلِّق به، قدّم عليه لمراعاة الفواصل، أو بمضمَر هو حال مِن الضمير في الخبر، أي: مكرَمون كائنين في جنّات.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٤١﴾

١ قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.
٢ قرأ بها العشرة إلّا يعقوبَ وحفصًا. النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.
٣ مضى بتخريجه وشرحه في تفسير البقرة، ٢٣١/٢.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مُسرِعين نحوَك مادّي أعناقهم إليك مقبِلين بأبصارهم عليك.

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: فِرَقًا شتّى، جمع "عِزَةٍ"، وأصلها "عِزْوَة" مِن "العِزْو"، كأنّ كلّ فِرقة تعتزي إلى غير مَن تعتزي إليه الأخرى. كان المشركون يُحلِّقون حول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَلَقًا حَلَقًا وفِرَقًا فِرَقًا ويستهزئون بكلامه عليه السلام، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلَندخلنّها قبلهم، فنزلت.[1]

﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ بلا إيمان.

﴿كَلَّآۖ﴾ رَدْع لهم مِن ذلك الطمع الفارغ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ قيل: هو / تعليل الرَّدع،[2] والمعنى: إنّا خلقناهم مِن أجل ما يعلمون، كما في قول الأعشى: [٢٢٧و]

أأزمَـعْـتَ مِـن آل لـيـلى ابتِـكـارا وشـطّـتْ على ذي هـوًى أن تُـزارا[3]

وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة، فمَن لم يستكملها بذلك فهو بمَعزِل مِن أن يُبوَّأ مُبَوَّأ الكاملين فمِن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنّة، وهم مكبُّون على الكفر والفُسوق وإنكار البعث. وقيل: معناه إنّا خلقناهم ممّا يعلمون مِن نُطْفة مَذِرة، فمِن أين يتشرَّفون ويدَّعون التقدّم، ويقولون لَندخُلنّ الجنّة قبلهم.[4] وقيل: إنّهم مخلوقون مِن نُطْفة قَذِرة لا تُناسب عالم القدس، فمتى لم تستكمِل الإيمانَ والطاعة ولم تتخلَّق بالأخلاق المَلَكيّة لم تستعدّ دخولَها.[5] ولا يخفى ما في الكلّ مِن التمحّل.

والأقرب أنّه كلام مستأنَف قد سِيق تمهيدًا لِما بعده مِن بيان قدرته تعالى على أن يُهلِكهم لكفرهم بالبعث والجزاء، واستهزائهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبما نزل عليه مِن الوحي، وادّعائهم دخولَ الجنّة بطريق السُّخريَة،

---

١ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٦٧/٢٧؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ٤٦٦؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٢/٤.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤.

٣ في ديوانه ٤٥؛ وهو له في الصحاح للجوهري، (زمع)؛ واللباب لابن عادل، ٣٧٥/١٩؛ وبلا عزو في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٧٢/٢٧.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤.

٥ الكلام في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٩/٣.

وينشئَ[١] بدلهم قومًا آخرين، فإنّ قدرته تعالى على ما يعلمون مِن النشأة الأولى حجّة بيّنة على قُدرته تعالى على ذلك، كما يُفصِح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾.

والمعنى: إذا كان الأمر كما ذُكر مِن أنّا خلقناهم ممّا يعلمون فأقسِم بربّ المشارق والمغارب ﴿إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: نُهلِكَهم بالمرّة حسبما يقتضيه جناياتهم، ونأتي بدلَهم بخَلْق آخرين ليسوا على صفتهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكنّ مشيئتنا المبنيّة على الحِكَم البالغة اقتضت تأخيرَ عقوباتهم.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخلّهم وشأنَهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم الذي مِن جملته ما حُكي عنهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ هو يوم البعث عند النفخة الثانية، لا يوم النفخة الأولى كما تُوهِّم، فإنّ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ بدل مِن ﴿يَوْمَهُمُ﴾. وقُرئ: "يُخرَجُوْنَ"[٢] على البناء للمفعول مِن الإخراج. ﴿سِرَاعًا﴾ حال مِن مرفوع / ﴿يَخْرُجُونَ﴾، أي: مسرِعين ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وهو كلّ ما نُصِب فعُبد مِن دون الله تعالى. وقُرئ بسكون "الصاد"،[٣] وبفتح "النون" وسكون "الصاد" أيضًا.[٤] ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون. [٢٢٧ظ]

﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ وُصفت أبصارهم بالخشوع مع أنّه وَصْف الكلّ لغاية ظهور آثاره فيها. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم ذِلّة شديدة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر ما سيقع فيه

---

١ السياق: أن يُهلِكهم... وينشئ...

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب والأعشى والبُرجُمي وأبي حَيْوَة وأبي البَرَهسم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٣١.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي العالية والحسن وقتادة وعمرو بن فائد وابن مُسلم عن ابن عامر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٢؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٣١.

٤ قرأ بها العشرة إلّا ابن عامر وحفصًا. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩١.

مِن الأحوال الهائلة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».[1]

---

[1] بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٢٨/٢٧ (المعارج، ١/٧٠)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٣٥٠/٤؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٦٣/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٠

سورة المعارج

مكية، أربعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿سأَلَ سائلٌ﴾: دعا داعٍ ﴿بِعَذابٍ واقِعٍ لِلكافِرِينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ﴾ ـ هو النضرُ بنُ الحارثِ، قال: «اللَّهمَّ إن كانَ هذا هُوَ الحَقَّ» الآيَةَ ـ ٣ ـ ﴿مِنَ اللهِ﴾: مُتصلٌ بـ «واقع» ﴿ذِي المَعارِجِ﴾: مَصاعِدِ الملائكة وهي السماوات، ٤ ـ ﴿تَعرُجُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ والرُّوحُ﴾: جِبريلُ ﴿إلَيهِ﴾: إلى مَهبِطِ أمرِه من السماء ﴿في يَومٍ﴾: متعلّقٌ بمحذوف، ....

سورة المعارج

قولُهُ: (دَعَا دَاعٍ) أي: استَدعاهُ، ولذلك عُدِّيَ الفِعلُ بالباء، وقرأَ نافِعٌ وشاميٌّ[١] بألِفٍ من الهَمزِ أو من واوٍ أو ياءٍ أُبدِلا.

قولُهُ: (هو) أي: السَّائِلُ.

قولُهُ: (النَّضرُ) أو أبُو جَهلٍ، أو نوحٌ، أو مُحمَّدٌ عليهما السَّلام.

قولُهُ: (﴿دافِعٌ﴾) أي: ليسَ له دافِعٌ يَردُّهُ من جهَتِهِ؛ لتعَلُّقِ إرادَتِهِ به، فلا يكونُ من غيرِهِ.

قولُهُ: (مصَاعِدِ) أو الدَّرَجاتِ في دارِ المثوباتِ.

قولُهُ: (واليَاء) التَّذكيرُ للكِسائِي[٢].

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) أو بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وقيل: مُتعَلِّقٌ بـ﴿يَعرج﴾، وهو استِئنافٌ لبَيانِ ارتِفاعِ تلك المعارِجِ،

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٠).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

أي: يقع العذاب بهم في يوم القِيامة، ﴿كَانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لِما يَلقى فيه من الشدائد. وأمّا المُؤمن فيكون عليه أخفّ من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث. ٥ ـ ﴿فاصبِرْ﴾ ـ وهذا قبل أن يُؤمر بالقِتال ـ ﴿صَبرًا جَمِيلاً﴾ أي: لا جزعَ فيه.

٦ ـ ﴿إِنَّهُم يَرَونَهُ﴾ أي: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غيرَ واقع، ٧ ـ ﴿ونَراهُ قَرِيبًا﴾: واقعًا لا محالة، ٨ ـ ﴿يَومَ تَكُونُ السَّماءُ﴾ ـ مُتعلّقٌ بمحذوف، أي: يقعُ ـ ﴿كالمُهلِ﴾: كذائب الفِضّة، ٩ ـ ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ﴾: كالصّوف في الخِفّة والطيران بالريح، ١٠ ـ ﴿ولا يَسألُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريبٌ قريبَه لِاشتغال كُلّ بحاله.

والمعنى: إنَّها بحيثُ لو قُدِّرَ قطعُها في زمانٍ لكانَ في زمانٍ يُقدَّرُ بخمسِينَ ألفَ سَنةٍ من سنيِّ الدُّنيا.

قولُهُ: (بالنِّسبَةِ) أو لأنَّهُ على الحقيقَةِ كذلك.

قولُهُ: (هَذا) هذا إن كان معناهُ الصَّبرَ على أذى الكُفَّارِ وتَركِ مُقاتَلَتِهِم، وأمَّا إذا كان الأمرُ بالصَّبرِ على الطَّاعَةِ وفي المصيبَةِ، ومِن تحمُّلِ عبءِ الرِّسالةِ فلا نسخَ، وهو الظَّاهِر.

قولُهُ: (لا جَزَعَ فِيهِ) ولا شَكوى إلى مَخلوقٍ.

قولُهُ: (أي: العَذَابَ) أو يومَ القيامَةِ.

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) دَلَّ عليهِ: ﴿وَاقِعٍ﴾.

قولُهُ: (كَذَائِبِ الفِضَّةِ) أي: المذابِ في مَهَلٍ وتَدريجٍ، كالفلِزَّاتِ[١].

قولُهُ: (كالصُّوفِ) المصبُوغِ ألواناً.

قولُهُ: (والطَّيَرَانِ) عَطفٌ على: (الخِفَّةِ).

قولُهُ: (بالرِّيحِ) أي: بسَبَبِها، مُتعلِّقٌ بـ﴿تكَونُ﴾؛ لأنَّ الجبالَ مُختَلفةُ الألوانِ فإذا بُسَّت وطُيِّرت في الجوِّ أشبَهَت العِهنَ المنفوشَ: إذا طَيَّرتهُ الرِّيحُ.

قولُهُ: (قَرِيب) وما ذكَرَ البَيضاوِيُّ[٢] عن ابنِ كَثِيرٍ: (ولا يسأل)، مَجهولاً غيرُ مَعروفٍ عندَ القُرَّاء[٣].

---

(١) الفلز: نحاس أبيض يجعل منه قدور عظام مفرغة، «العين» للخليل (٧/ ٣٦٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٥).

(٣) قلت: قرأ بذلك البزي بخلف عنه، وابن مجاهد في «السبعة في القراءات» غلط ذلك، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٥٠)، و«جامع البيان في القراءات السبع» (٤/ ١٦٥٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُم﴾ أي: يُبصَّر الأحِمّاءُ بعضُهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلّمون ـ والجملة: مُستأنفة ـ ﴿يَوَدُّ المُجرِمُ﴾: يتمنّى الكافر ﴿لَو﴾ بمعنى: أن ﴿يَفتَدِيْ مِن عَذابِ يَومِئذٍ﴾ ـ بكسر الميم وفتحها ـ ﴿بِبَنِيهِ، وصاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وأخِيهِ، وفَصِيلتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿الَّتِي تُؤوِيهِ﴾: تضمُّه، ١٤ ـ ﴿ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ: عطفٌ على «يفتدي». ١٥ ـ ﴿كَلاَّ﴾: ردٌّ لِما يودّه، ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿لَظَى﴾: اسم لجهنّمَ لأنها تتلظّى، أي: تتلهّب على الكُفّار، ١٦ ـ ﴿نَزّاعةٌ لِلشَّوَى﴾: جمعُ شَواة ـ وهي جِلدة الرأس ـ ١٧ ـ ﴿تَدعُو مَن أدبَرَ وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان بأن تقول: «إليّ إليّ»، ١٨ ـ ﴿وجَمَعَ﴾ المال ﴿فأوعَى﴾: أمسكَه في وِعائه ولم يُؤدِّ حقّ الله منه.

١٩ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: حالٌ مُقدّرة، وتفسيرُه: ٢٠ ـ ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقتَ مسّ الشرّ، ٢١ ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا﴾ وقتَ مسّ الخيرِ أي: المالِ لحقِّ الله منه، ٢٢ ـ ﴿إلاّ المُصَلِّينَ﴾ أي: المُؤمنين، ٢٣ ـ ﴿الَّذِينَ هُم علَى صَلاتِهِم دائمُونَ﴾: مُواظبون، ....

قولُهُ: (مُستَأنَفَةٌ) تدُلُّ على أنَّ المانِعَ عن السُّؤالِ هو الشّاغِلُ دُونَ الخفاءِ، وجمعُ الضَّميرِ لعُمومِ الحَميمِ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافِعٌ والكَسائي[1].

قولُهُ: (تَضُمُّهُ) في النَّسَبِ وعندَ الشَّدائِدِ.

قولُهُ: (رَدٌّ) أي: رَدعٌ للمُجرِمِ عن الوَدادَةِ، ودَلالَةٌ على أنَّ الافتداءَ لا يُنجيهِ.

قولُهُ: (أي: النَّارَ) أو مُبهَمٌ تفسيرُهُ ﴿لظى﴾، وهو خبرٌ أو بدَلٌ.

قولُهُ: (جِلدَةُ الرَّأسِ) أو الشَّوَى: الأطرافُ، وحفصٌ بنَصْبِ ﴿نَزَّاعَة﴾ على الاختِصاصِ[2].

قولُهُ: (بأَن تَقُول) أو تجذِبَ، أو تدعو زَبانيتُها.

قولُهُ: (أَمسَكَهُ) أي: جعَلَهُ في وعاءٍ وكنَزَهُ حِرصاً وتأميلاً.

قولُهُ: (حَالٌ مُقَدَّرَةٌ) أو مُحَقَّقةٌ؛ لأنَّها طبيعَةٌ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وكذا الحالُ في الحالَينِ المتأخِّرَين.

قولُهُ: (وتَفسِيرُهُ) أي: ما بعدَهُ، وقيل معناهُ: شَديدَ الحِرصِ قَليلَ الصَّبرِ.

قولُهُ: (وَقتَ مَسِّ الشَّرِّ) أي: الضُّرِّ والفَقرِ، أشارَ إلى أنَّ: ﴿إذا﴾ ظَرفٌ لـ﴿جَزُوعَا﴾.

قولُهُ: (لِحَقِّ اللهِ) مُتعلِّقٌ بـ﴿مَنُوعاً﴾.

قولُهُ: (مُوَاظِبُونَ) لا يَشغَلُ عنها شاغِلٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

٢٤ ـ ﴿والَّذِينَ في أموالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ﴾ هو الزكاة ٢٥ ـ ﴿لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾: المُتعفِّف عن السّؤال فيُحرَم، ٢٦ ـ ﴿والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاء، ٢٧ ـ ﴿والَّذِينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ﴾: خائفون ـ ٢٨ ـ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّهِم غَيرُ مأمُونٍ﴾ نزولُه ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ، إلاّ علَى أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم﴾ من الإماء ـ ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ. فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾: المُتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ـ ٣٢ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، وفي قراءة بالإفراد: ما اؤْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا، ﴿وعَهدِهِم﴾ المأخوذِ عليهم في ذلك، ﴿راعُونَ﴾: حافظون، ٣٣ ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِشَهادتِهِم﴾ ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿قائمُونَ﴾: يُقيمونها ولا يكتمونها، ٣٤ ـ ﴿والَّذِينَ هُم علَى صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥ ـ ﴿أُولئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿فما لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: نحوَك ﴿مُهطِعِينَ﴾: حالٌ، ....

قولُهُ: (هُوَ الزَّكَاةُ) وسائرُ الواجباتِ الماليّةِ.

قولُهُ: (فَيُحرَمُ) غالباً بحِسبانِهِ غَنيًّا.

قولُهُ: (خَائِفُونَ) على أنفُسِهِم.

قولُهُ: (نُزُولُهُ) اعتِراضٌ يدُلُّ على أنّه لا ينبَغي لأحَدٍ أن يأمَنَ من عَذابِ الله وإن بالَغَ في طاعَتِه.

قولُهُ: (مِنَ الإمَاءِ) من بَيانيَّةٌ.

قولُهُ: (المُتَجَاوِزُونَ)كالاستِمناءِ لغَيرِ ضَرورَةٍ، والمتعَةِ، ووَطءِ العَبدِ والحَيوانِ والميتَةِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ[1].

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) أي: في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَة) لِحَفص[2].

قولُهُ: (بالجَمعِ) لاختلافِ الأنواعِ.

قولُهُ: (في أَوقَاتِهَا) ورِعايَةِ بقيَّةِ شُروطِها وأركانِها وواجِباتِها، وفي تكريرِ ذِكرِ الصَّلاةِ ووصفِهِم بِها أوّلاً وآخِراً باعتِبارَين ـ أعني: المداوَمَةَ والمحافَظَةَ ـ دلالَةٌ على فَضلِها على غَيرِها.

قولُهُ: (نَحوَكَ) أو حَولَك.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

أي: مُديمِي النظر، ٣٧ ـ ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: جماعاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلَنّها قَبلَهم؟ ٣٨ ـ ٣٩ ـ قال تعالى: ﴿أيَطمَعُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُدخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن طمعهم في الجنّة. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ كغيرهم ﴿مِمّا يَعلَمُونَ﴾: من نُطَف. فلا يُطمع بذلك في الجنّة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿فلا﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿أُقسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب. ﴿إنّا لَقادِرُونَ علَى أن نُبَدِّلَ﴾: نأتيَ بدَلَهم ﴿خَيرًا مِنهُم، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين عن ذلك. ٤٢ ـ ﴿فذَرْهُم﴾: اتركْهم، ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلاقُوا﴾: يلقَوا ﴿يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ، ٤٣ ـ ﴿يَومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿سِراعًا﴾ إلى المحشر، ﴿كأنَّهُم إلَى نَصْبٍ﴾، وفي قراءة بضمّ الحرفين، شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون، ٤٤ ـ ﴿خاشِعةً﴾: ذليلة ﴿أبصارُهُم، تَرهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلّةٌ. ذلِكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾. ذلك: مُبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يومُ القيامة.

قولُهُ: (مُدِيمِي النَّظَرِ) أو مُسرِعين.

قولُهُ: (أي: جَمَاعَاتٍ) يعني: فِرَقاً شَتَّى، جمعُ: عِزَة.

قولُهُ: (وسَائِرِ الكَوَاكِبِ) يعني: جَمَعَها باعتِبارِ ضَمِّ الكَواكِبِ، والتَّحقيقُ أنَّ لهما كُلَّ يَومٍ ولَيلةٍ مَشرِقًا ومَغرِبًا، وحيثُ ثَنَّى اعتُبِرَ مَشرِقَي الشِّتاءِ والصَّيفِ ومَغرِبيهِما، وحيثُ أفرَدَ اعتُبِرَ الجِنس.

قولُهُ: (نَأتِي بَدَلَهُم) بأن نُهلِكَهُم ونَأتي بخَلقٍ أمثَلَ منهم.

قولُهُ: (بعَاجِزِينَ) أو مغلوبينَ إن أرَدنا.

قولُهُ: (اترُكْهُم) أمرُ تهديدٍ ووعيدٍ.

قولُهُ: (إلى المحشَر) أي: مُسرِعينَ، جمعُ: سَريعٍ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لشاميٍّ وحَفصٍ[1]، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

سورة المعارج

وتسمَّى: سورة الواقع(١)، وسورة سأل.

وهي مكية بالاتفاق على ما قال القرطبيُّ(٢). وفي «مجمع البيان»(٣): عند الحسن إلَّا قولَه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية: ٢٤].

وآيُها ثلاث وأربعون في الشامي، واثنتان وأربعون في غيره(٤).

وهي كالتتمة لسورة «الحاقة» في بقيَّة وصف القيامة والنار، وقد قال ابن عباس: إنَّها نزلت عقيب سورة «الحاقة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ أي: دعا داعٍ به، فالسؤال بمعنى الدعاء، ولذا عدِّي بالباء تعديته بها في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ [الدخان: ٥٥] والمراد: استدعاء العذاب وطلبه، وليس من التضمين في شيء. وقيل: الفعل

---

(١) في الأصل و(م): المواقع، والمثبت من السبعة في القراءات ص٦٥٠، والإتقان ١/ ١٧٦.

(٢) في تفسيره ٢١/ ٢١٨.

(٣) ٢٩/ ٥٠.

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه: والمختلف فيه آية: «ألف سنة». انتهى منه. وقد جاء في البيان في عدّ أي القرآن للداني ص٢٥٤، ومجمع البيان ٢٩/ ٥٠، والإتقان ١/ ٢١٦، وحاشية الشهاب ٨/ ٢٤١ أن عدد آياتها ثلاث وأربعون أو أربع وأربعون. وذكر أبو الليث السمرقندي والواحدي والبغوي والزمخشري والقرطبي والإمام الرازي والبيضاوي وأبو حيان وأبو السعود في تفاسيرهم أنها أربع وأربعون، فقول المصنف اثنان وأربعون، لعله وهم منه رحمه الله.

مضمَّن معنى الاهتمام والاعتناء، أو هو مجازٌ عن ذلك، فلذا عدِّي بالباء. وقيل: إنَّ الباء زائدة. وقيل: إنَّها بمعنى: «عن»، كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

والسائل هو النضر بن الحارث كما روى النسائيُّ وجماعةٌ وصحَّحه الحاكم عن ابن عباس[١]، ورُوي ذلك عن ابن جُريج والسُّدي والجمهور، حيثُ قال إنكاراً واستهزاءً: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: هو أبو جهل، حيثُ قال: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

وقيل: هو الحارث بن النعمان الفِهْري، وذلك أنَّه لمَّا بلغه قولُ رسول الله ﷺ في عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، قال: اللهمَّ إن كان ما يقول محمد ﷺ حقّاً، فأمطر علينا حجارةً من السماء. فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجرٍ، فوقعَ على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته[٢]. وأنت تعلم أنَّ ذلك القولَ منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرَّم الله تعالى وجهه كان في غدير خُمّ، وذلك في أواخر سنيِّ الهجرة، فلا يكون ما نزل مكيّاً على المشهور في تفسيره، وقد سمعتَ ما قيل في مكية هذه السورة.

وقيل: هو الرسولُ ﷺ استعجلَ عذابَهم. وقيل: هو نوح عليه السلام سأل عذابَ قومه.

وقرأ نافع وابن عامر: «سال» - بألف، كقال - «سايل» بياء بعد الألف[٣]،

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٣، والنسائي في الكبرى (١١٥٥٦)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وجاء في مطبوع المستدرك موقوفاً على سعيد بن جبير، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٣ وعزاه لهما ولغيرهما من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٥٣-٥٤ وفي إسناده انقطاع، وانظر كلام المصنف الآتي. وقول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» سلف ٧/ ٣٦.

(٣) قراء «سال» بالألف في السبعة ص٦٥٠، والتيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠. قال في السبعة: وكلهم قرأ: «سائل» بالهمزة بلا خلاف. اهـ. وقال ابن الجزري في النشر: وانفرد

فقيل: يجوز أن يكون قد أُبدلت همزةُ الفعل ألفاً؛ وهو بدلٌ على غير قياس، وإنَّما قياس هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة مَنْ قال: سِلْتُ أَسَالُ. حكاها سيبويه[١]. وفي «الكشاف»[٢]: هو من السؤال، وهو لغة قريش يقولون: سِلْتَ تَسَال، وهما يتسايلان. وأراد أنَّه من السؤال المهموز معنًى لا اشتقاقاً بدليل: وهما يتسايلان. وفيه دلالةٌ على أنَّه أجوف يائيٌّ، وليس من تخفيف الهمزة في شيء. وقيل: السُّوال: بالواو الصريحة مع ضمِّ السين وكسرها، وقولُه: يتسايلان. صوابُه: يتساولان، فتكون ألفُه منقلبةً عن واو كما في: قال وخاف، وهو الذي ذهب إليه أبو علي في «الحجة»[٣] وذكر فيها أنَّ أبا عثمان حكى عن أبي زيد أنَّه سمع من العرب من يقول: هما يتساولان. ثمَّ إنَّ في دعوى كون: سِلْت تسال لغةَ قريش تردُّداً، والظاهر خلاف ذلك، وأنشدوا لورود: سال، قولَ حسان يهجو هُذَيلاً لمَّا سألوا النبيَّ ﷺ أن يبيح لهم الزنى:

سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلَّتْ هذيلٌ بما قالت ولم تُصِبِ[٤]

وقولَ آخر:

سالتاني الطَّلاقَ أن رأتاني ... قلَّ مالي قد جئتماني بنُكْرِ[٥]

وجوِّز أن يكون سال من السيلان، وأُيِّد بقراءة ابن عباس: «سَال سَيْل»[٦] فقد

= النهرواني عن الأصبهاني عن ورش بتسهيل «سائل» بين بين هذا الموضع خاصة، وكذا رواه الخزاعي عن ابن فليح عن ابن كثير وسائر الرواة عن الأصبهاني وعن ورش خلافه.

(١) في الكتاب ٣/ ٥٥٥.

(٢) ٤/ ١٥٦.

(٣) ٦/ ٣١٧.

(٤) ديوان حسان ص١٢٣، والكتاب ٣/ ٤٦٨، وفيهما: بما جاءت، بدل: بما قالت، وذكره المبرد في الكامل ٢/ ٦٢٦ برواية: بما سالت.

(٥) يروى البيت - في عدة أبيات - لزيد بن عمرو بن نُفيل، ولابنه سعيد بن زيد، ولنُبيه بن الحجاج، ينظر الخزانة ٦/ ٤١٥. والبيت في الكتاب ٣/ ٥٥٥، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٥، والخزانة ٦/ ٤١٠، ورواية البيان، والخزانة:

سالتاني الطلاق أن رأتا ما ... لي قليلاً ....

(٦) القراءات الشاذة ص١٦١، والمحتسب ٢/ ٣٣٠.

قال ابن جني[1]: السيل هاهنا: الماء السائل، وأصلُه المصدر من قولك: سال الماء سيلاً، إلَّا أنَّه أُوقع على الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك:٣٠] أي: غائراً. وقد تسومح في التعبير عن ذلك بالوادي فقيل: المعنى: اندفَع وادٍ بعذاب واقع.

والتعبيرُ بالماضي قيل: للدلالة على تحقُّق وقوع العذاب، إمَّا في الدنيا وهو عذاب يوم بدر وقد قُتل يومئذٍ النضرُ وأبو جهل، وإمَّا في الآخرة وهو عذابُ النار.

وعن زيد بن ثابت أنَّ سائلاً اسمُ وادٍ في جهنم. وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن ابن عباس[2] ما يحتمله.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ صفةٌ أخرى لـ «عذاب»، أي: كائن للكافرين، أو صلةٌ لـ «واقع» واللَّام للتعليل، أو بمعنى: «على»، ويؤيّده قراءةُ أُبيٍّ: «على الكافرين»[3]. وإن صحَّ ما رُوي عن الحسن وقتادة: أنَّ أهلَ مكة لمَّا خوَّفهم النبيُّ ﷺ بعذابٍ، سألوا عنه: على مَنْ ينزل وبمن يقع؟ فنزلت، كان هذا ابتداءَ كلامٍ جواباً للسائل، أي: هو للكافرين.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ صفةٌ أخرى لـ «عذاب»، أو حالٌ منه؛ لتخصيصه بالصفة أو بالعمل، أو من الضمير في «للكافرين» على تقدير كونه صفةً لعذاب، على ما قيل، أو استئناف، أو جملة مؤكِّدةٌ لـ : هو للكافرين، على ما سمعت آنفاً، فلا تَغْفُل.

وقوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقٌ بـ «دافع»، و«من» ابتدائية، أي: ليس له دافعٌ يردُّه من جهته عز وجل؛ لتعلُّق إرادته سبحانه به.

وقيل: متعلِّقٌ بـ «واقع»، فقيل: إنَّما يصحُّ على غير قول الحسن وقتادة، وعليه يلزم الفصلُ بالأجنبي؛ لأنَّ «للكافرين» على ذلك جوابُ سؤال، ثمَّ إنَّ التعلُّقَ

---

(١) في المحتسب ٢/ ٣٣٠.

(٢) عزاه لهما السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٤.

(٣) البحر ٨/ ٣٣٢.

بـ «واقع» ـ على ما عدا قولهما ـ إن جُعل «للكافرين» من صلته أيضاً كان أظهرَ، وإلَّا لزم الفصلُ بين المعمول وعامله بما ليس من تتمَّته، لكن ليس أجنبياً من كلِّ وجهٍ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ هي لغةً: الدرجات، والمراد بها على ما رُوي عن ابن عباس: السماوات تعرجُ فيها الملائكة من سماءٍ إلى سماء. ولم يعيِّنها بعضُهم فقال: أي: ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي.

وقيل: هي مقاماتٌ معنوية تكون فيها الأعمال والأذكار. أو: مراتبُ في السلوك كذلك يترقَّى فيها المؤمنون السالكون. أو: مراتبُ الملائكة عليهم السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة تفسيرها بالفضائل والنِّعم. وروى نحوَه ابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم عن ابن عباس(١).

وقيل: هي الغُرف التي جعلها الله تعالى لأوليائه في الجنة. والأنسب بما يقتضيه المقام من التهويل ما هو أدلُّ على عِزِّه عز وجل وعِظَم ملكوته تعالى شأنه.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ عليه السلام كما ذهب إليه الجمهور، أُفرد بالذكر لتميُّزه وفضله، بناءً على المشهور من أنَّه عليه السلام أفضلُ الملائكة. وقيل: لمجرَّد التشريف، وإن لم يكن عليه السلام أفضلَهم بناءً على ما قيل من أنَّ إسرافيل عليه السلام أفضلُ منه.

وقال مجاهد: «الروح» ملائكةٌ حَفَظةٌ للملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحَفَظةُ كما لا نرى نحن حَفَظتنا. وقيل: خَلْق هم حفظة الملائكة مطلقاً كما أنَّ الملائكة حَفَظةُ الناس. وقيل: مَلَكٌ عظيم الخِلْقة، يقوم وحدَه يوم القيامة صفًّا ويقوم الملائكة كلُّهم صفًّا. وقال أبو صالح: خَلْقٌ كهيئة الناس وليسوا بالناس.

وقال قبيصة بن ذؤيب: روح الميت حين تُقبض. ولعلَّه أراد: الميت المؤمن.

وقرأ عبد الله والكسائيُّ وابن مِقْسم وزائدة عن الأعمش: «يعرج» بالياء التحتية(٢).

---

(١) ينظر الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٦٤.
(٢) التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠ عن الكسائي، والكلام من البحر ٨/ ٣٣٣.

﴿إِلَيۡهِ﴾ قيل: أي: إلى عرشه تعالى وحيث يهبط منه أوامرُه سبحانه. وقيل: هو من قبيل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات:٩٩] أي: إلى حيثُ أمرني عز وجل به. وقيل: المراد إلى محلِّ برِّه وكرامته جلَّ وعلا، على أنَّ الكلام على حذف مضافٍ. وقيل: إلى المكان المنتهى إليه، الدالِّ عليه السياق. وفُسِّر بمحلِّ الملائكة عليهم السلام من السماء.

ومعظم السلف يعدُّون ذلك من المتشابه مع تنزيهه عزَّ وجل عن المكان والجسميَّة واللوازم التي لا تليق بشأن الألُوهية.

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ أي: من سنينكم، الظاهرُ تعلُّقه بـ «تعرج»، واليوم بمعنى الوقت، والمراد به: مقدار ما يقوم الناس فيه لربِّ العالمين إلى أن يستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة وأهلُ النار في النار من اليوم الآخر والذي لا نهايةَ له. ويشيرُ إلى هذا ما أخرج الإمام أحمد وابنُ حبان وأبو يعلى وابن جرير والبيهقيُّ في «البعث» عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنة، ما أطولَ هذا اليوم! فقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده إنَّه لَيُخفَّفُ على المؤمن حتى يكونَ أهونَ عليه من صلاةٍ مكتوبةٍ يصلِّيها في الدنيا»[1].

واختُلف في المراد بهذا التقدير على هذا الوجه:

فقيل: الإشارةُ إلى استطالة ذلك اليوم لشدَّته، لا أنَّه بهذا المقدار من العدد حقيقةً. وُروي هذا عن ابن عباس. والعرب تصفُ أوقاتَ الشدَّة والحزن بالطول، وأوقاتَ الرخاء والفرح بالقِصَر، ومن ذلك قول الشاعر:

أشكو وتَشكِين من الطُّولِ ... مِن قِصَر الليل إذا زُرْتِني[2]

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٤-٢٦٥، وأحمد (١١٧١٧)، وابن حبان (٧٣٣٤)، وأبو يعلى (١٣٩٠)، وابن جرير ٢٩/ ٢٥٣-٢٥٤، والبيهقي (١٢٦) (الاستدراكات). وهو من طريق درَّاج عن أبي الهيثم، ودراج قال عنه أحمد: أحاديثه مناكير. ولينه، كما ذكر الذهبي في الميزان ٢/ ٢٤، وذكر له هذا الحديث، غير أن الحافظ حسَّن إسناده في الفتح ١١/ ٤٤٨.

(٢) البيت دون نسبة في نفحة الريحانة ٤/ ١٧٧.

وقوله:

ليلي وليلَى نفَى نومي اختلافُهما بالطُّول والطَّوْل يا طوبى لو اعتدلا
يجودُ بالطُّول ليلي كلَّما بخلتْ بالطَّوْل ليلَى وإن جادَتْ به بخلَا(١)

وقوله:

ويومٍ كظلِّ الرمح قصَّر طولَه دمُ الزِّقِّ عنَّا واصطفاقُ المزاهرِ(٢)

إلى ما لا يكاد يحصى. وفي قوله عليه الصلاة والسلام في الخبر السابق: «إنَّه لَيُخفَّف على المؤمن حتى يكونَ أهونَ عليه من صلاة مكتوبةٍ» إشارةٌ إلى هذا. وكذا ما رُوي عن عبد الله بن عمرو من قوله: يُوضع للمؤمنين يومئذٍ كراسيُّ من ذهب، ويظلَّل عليهم الغمام ويقصر عليهم ذلك اليوم ويهون حتى يكون كيوم من أيامكم هذه(٣). ولينظر على هذا القول ما حكمة التنصيص على العدد المذكور.

وقيل: هو على ظاهره وحقيقته وأنَّ في ذلك اليوم خمسين موطناً، كلُّ موطن ألفُ سنة من سني الدنيا، أي: حقيقةً.

وقيل: الخمسون على حقيقتها إلَّا أنَّ المعنى: مقدارُ ما يُقضى فيه من الحساب قَدْرُ ما يقضى بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا، وهو مرويٌّ عن عكرمة.

وأشار بعضهم إلى أنَّ المقدارَ المذكور عليه مجازٌ عمَّا يلزمه من كثرة ما يقع فيه

---

(١) البيتان دون نسبة في معاهد التنصيص ١/ ٢٦٦، والكشكول ٢/ ٣٨٤، ورواية الشطر الثاني في البيت الأول في معاهد التنصيص: حتى لقد صيّراني في الهوى مثلاً.

(٢) نسبه في الشعر والشعراء ١/ ٢٨٤ لبعض الضَّبِّيين، ونسبه صاحب الحماسة كما شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٢٦٩ لشُبرمة بن الطفيل، ونسبه في الحيوان ٦/ ١٧٩، والصحاح (صفق)، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩ ليزيد بن الطَّثْرية. قال في اللسان (صفق) بعد أن ذكر البيت: قال ابن بري: نسب الجوهريُّ هذا البيتَ ليزيد بن الطَّثْرية، وصوابه: لشُبرمة بن الطفيل. اهـ. وأراد بدم الزق: الخمر. ورواية الحماسة:

ويومٍ شديد الحرِّ قَصَّرَ طولَه دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاكُ المزاهرِ

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.

من المحاسبات، أو كناية، فكأنَّه قيل: في يوم يكثر فيه الحساب ويطول بحيثُ لو وقع من غير أسرع الحاسبين وفي الدنيا طالَ إلى خمسين ألف سنة.

وتخصيصُ عروج الملائكة والروح بذلك اليوم مع أنَّ عروجَهم متحقِّقٌ في غيره أيضاً للإشارة إلى عِظَم هولِه وانقطاع الخَلْق فيه إلى الله عز وجل وانتظارِهم أمرَه سبحانه فيهم، أو للإشارة إلى عِظَم الهول على وجه آخر.

وأيًّاما كان فالجملة استئنافٌ مؤكِّدٌ لما سيق له الكلام.

وقيل: هو متعلِّقٌ بـ «واقع». وقيل: بـ «دافع». وقيل: بـ «سال»، إذا جُعل من السيلان، لا به من السؤال؛ لأنَّه لم يقع فيه. والمراد باليوم على هذه الأقوال: ما أُريد به فيما سبق. و«تعرج الملائكة والروح إليه» مستطرد عند وصفه عز وجل بـ «ذي المعارج».

وقيل: هو متعلِّقٌ بـ «تعرج» كما هو الظاهر، إلَّا أنَّ العروج في الدنيا، والمعنى: تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى ويقطعون في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فُرض سيرُه فيه. ورُوي عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو روايةٌ عن ابن عباس أيضاً.

واختلف في تحديد المسافة فقيل: هي من وجه الأرض إلى منتهى العرش. وقيل: من قعر الأرض السابعة السفلى إلى العرش. وفصّل بأنَّ ثخن كلِّ أرض خمس مئة عام، وبين كلِّ أرضَيْن خمسُ مئة عام، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمس مئة عام، وثخنُ كلِّ سماءٍ كذلك، وما بين كل سماءين كذلك، وما بين السماء العليا ومقعر الكرسيِّ كذلك، ومجموعُ ذلك أربعةَ عشرَ ألف عام، ومن مقعر الكرسيِّ إلى العرش مسيرةُ ستٍّ وثلاثين ألف عام، فالمجموع: خمسون ألف سنة. وفي خبرٍ أخرجه ابن أبي حاتم[1] عن ابن عباس نحوُه، ولعلَّه لا يصحُّ، وإن لم تبعُد هذه السرعة من الملائكة عليهم السلام عند مَنْ وقفَ على سرعة حركة الأضواء، وعلم أنَّ الله عز وجل على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٤.

ومن الناس من اعتبر هذه المدَّة من الأرض إلى العرش عُروجاً وهبوطاً، واعتبرها كذلك من الأرض إلى مقعر السماء الدنيا في قوله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] ومَنْ يعتبر أحدَ الأمرين يعتبر هنا محدَّب السماء الدنيا والأرض. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما للمتصوِّفة في ذلك.

وقيل: الكلام بيانٌ لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعدِ مداها على سبيل التمثيل والتخييل، والمراد: أنَّها في غاية البعد والارتفاعِ المعنوي على بعض الأوجه في المعارج، أو الحسّي كما في بعضٍ آخرَ، وليس المراد التحديدَ.

وعن عكرمة أنَّ تلك المدَّة هي مدةُ الدنيا منذ خُلقت إلى أن تقوم الساعة إلَّا أنَّه لا يدري أحدٌ ما مضى منها وما بقي، أي: تعرج الملائكة إليه في مدة الدنيا، وبقاء هذه البنية. وهذا يحتاج إلى نقل صحيح. ثم الظاهر أنَّه أراد بالدنيا ما يقابل الأخرى، ويشمل العرش ونحوه. ويَرِدُ عليه أنَّ ما ورد عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه جواباً لمن سأله: متى خلق الله تعالى العرش؟ يكذِّبه، فإنَّه يدلُّ على أنَّ ما مضى من أول زمنِ خَلْقِه إلى اليوم يزيد على خمسين ألف سنة بألوفِ ألوفِ سنينَ لا يحصيها إلَّا اللهُ عز وجل. ولعلَّه أولى بالقبول ممَّا قاله عكرمة.

والحقُّ أنَّه لا يعلم مبدأ الخلق ولا مدَّة بقاء هذه البنية إلَّا الله عز وجل، بَيْد أنَّا نعلم بتوفيق الله تعالى أنَّ هذا العالم حادثٌ حدوثاً زمانياً، وأنَّه ستبدَّلُ الأرض غيرَ الأرض والسماوات، وتبرز الخلائق لله تعالى الواحد القهّار.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ متفرِّعٌ على قوله تعالى: (سَأَلَ سَآئِلٌ) ومتعلِّقٌ به تعلُّقاً معنوياً؛ لأنَّ السؤال كان عن استهزاءٍ وتعنُّتٍ وتكذيب بناءً على أنَّ السائل النضرُ وأضرابُه وذلك مما يُضْجِره عليه الصلاة والسلام، أو كان عن تضجُّرٍ واستبطاءٍ للنصر؛ بناءً على أنَّه ﷺ هو السائل، فكأنَّه قيل: فاصبر ولا تستعجل فإنَّ الموعود كائنٌ لا محالةَ، والمعنى على هذا أيضاً على قراءة من قرأ «سال سايل» من السيلان كقراءة «سال سَيْل»، ولا يظهر تفرُّعه على «سأل» من السؤال إن كان السائل نوحاً عليه السلام.

والصبرُ الجميل على ما أخرجه الحكيم الترمذيُّ في «نوادر الأصول» عن ابن عباس: ما لا شكوى فيه إلى أحدٍ غير الله تعالى. وأخرج عن عبد الأعلى بن الحجّاج أنَّه ما يكون معه صاحبُ المصيبة في القوم بحيث لا يُدرى من هو[1].

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي: العذابَ الواقع. أو: اليومَ المذكور في قوله تعالى: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ) إلخ بناءً على أنَّ المراد به يوم الحساب متعلقاً بـ «تعرج» على ما سمعتَ أولاً، أو بـ «دافع»، أو بـ «واقع»، أو بـ «سال» من السيلان. أو يوم القيامة المدلول عليه بـ «واقع» على وجهٍ، فما يدلُّ عليه كلام «الكشاف»[2] من تخصيص عود الضمير إلى يوم القيامة بما إذا كان «في يوم» متعلقاً بـ «واقع»، فيه بحثٌ.

ومعنى «يرونه»: يعتقدونه ﴿بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: من الإمكان، والمراد أنَّهم يعتقدون أنه محالٌ. أو من الوقوع، والمراد: أنَّهم يعتقدون أنه لا يقع أصلاً وإن كان ممكناً ذاتاً. وكلامُ كفار أهل مكة بالنسبة إلى يوم القيامة والحساب محتملٌ للأمرين، بل ربمَّا تسمعهم يتكلَّمون بما يكاد يشعر بوقوعه حيثُ يزعمون أنَّ آلهتهم تشفع لهم، فهم متلوِّنون في أمره تلوُّنَ الحرباء.

والعذابُ إن أُريد به عذابُ يوم القيامة فهو كيوم القيامة عندهم، أو أنَّه لا يقع بالنسبة إليهم مطلقاً لزعمهم دفعَ آلهتهم إيَّاه عنهم، وإن أُريد به عذابُ الدنيا فالظاهرُ أنَّهم لا ينفون إمكانه، وإنمَّا ينفون وقوعَه، ولا تكاد تتمُّ دعوى أنهم ينفون إمكانه الذاتيَّ.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: من الإمكان. والتعبيرُ به للمشاكلة كما قيل بها في «نراه» إذ هو ممكنٌ، ولا معنى لوصف الممكن بالقرب من الإمكان؛ لدخوله في حيِّزه، والمرادُ وصفه بالإمكان، أي: ونراه ممكناً، وهذا على التقدير الأول في «يرونه بعيداً»، أو: نراه قريباً من الوقوع، وهذا على التقدير الثاني فيه، وقد يقال كذلك

(١) عزاهما له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥، ولم نجدهما في مطبوع نوادر الأصول.
(٢) ٤/ ١٥٧.

على الأول أيضاً على معنى: إنَّهم يرونه بعيداً من الإمكان ونحن نراه قريباً من الوقوع فضلاً عن الإمكان. ولعلَّه أولى من تقدير الإمكان في الجملتين.

وجملةُ «إنهم» إلخ تعليلٌ للأمر بالصبر. وقيل: إن كان المستعجلُ هو النضرَ وأضرابَه فهي مستأنفةٌ بياناً لشبهة استهزائهم وجواباً عنه، وإن كان النبيَّ ﷺ فهي تعليلٌ لِمَا ضمِّن الأمر بالصبر من ترك الاستعجال بأنَّ رؤيتنا ذلك قريباً توجب الوثوقَ وترك الاستعجال.

وقولُه سبحانه: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ قيل: متعلقٌ بـ «قريباً» أو بمضمَرٍ يدلُّ عليه «واقعٌ»، وهو: يقع، أو بدل عن «في يوم» إن عُلِّل به دون «تعرج». والنصبُ باعتبار أنَّ محلَّ الجارِّ والمجرور ذلك، إذ ليس بدلاً عن المجرور وحدَه، فاشتراطُ أبي حيان[1] لمراعاة المحلِّ كونَ الجارِّ زائداً أو شبهه كـ: رُبَّ، غيرُ صحيح، ولا يحتاج تصحيح البدلية إلى التزام كون حركة «يوم» بنائيةً؛ بناءً على مذهب الكوفيين المجوِّزين لذلك وإن أضيف لمُعْرَبٍ.

وذكر أنَّه على هذه التقادير الثلاث المرادُ بالعذاب عذابُ القيامة، وأمَّا إذا أُريد عذابُ الدنيا فيتعيَّنُ أن يكون التقدير: يوم تكون السماء يكون كَيْتَ وكَيْتَ. وكأنَّهم لمَّا استعجلوا العذابَ أُجيبوا بأَزَفِ الوقوع، ثم قيل: لِيَهُن ذلك في جنب ما أُعدَّ لكم يوم تكون السماء كالمهل، فحينئذٍ يكون العذاب الذي هو العذاب.

ثم لا يخفى أنَّ البدلية ممكنةٌ على تقدير تعلُّق «في يوم» بـ «تعرج» أيضاً، بناءً على أنَّ المراد به يوم القيامة أيضاً كما قدَّمنا، وأنَّ الأولى عند تعلُّقه بـ «قريباً» أن لا يراد من القرب من الإمكان الإمكانُ الذاتي، لما في تقييده باليوم نوعُ إيهام، وأنَّ ضميرَيْ «يرونه» و«نراه» إذا كانا ليوم القيامة يلزم وقوع الزمان في الزمان في قولنا: يقعُ يومُ القيامة يومَ تكون كالمهل. ويجاب بما لا يخفى.

وجوَّز في «البحر»[2] كونَه بدلاً من ضمير «نراه» إذا كان عائداً على يوم القيامة،

---

(١) في البحر ٨/ ٣٣٤.
(٢) ٨/ ٣٣٤.

وفي «الإرشاد»[١] كونَه متعلّقاً بـ «ليس له دافع». وبعضُهم كونَه مفعولاً به لـ: اذكر، محذوفاً. وتعلُّقُه بـ «نراه» كما قاله مكّي[٢] لا نراه. وكذا تعلُّقه بـ «يبصرونهم» كما حكاه. ومثلُه ما عسى أن يقال من تعلّقه[٣] بـ «يود» الآتي بعدُ، فتأمَّل.

والمُهْل: أخرج أحمد والضياء في «المختارة»[٤] وغيرُهما عن ابن عباس أنَّه: دُرْديُّ الزيت. وهو ما يكون في قعره. وقال غيرُ واحد: المُهْل: ما أُذيب على مَهْلٍ من الفِلِزَّات، والمراد: يوم تكون السماء واهيةً. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية أنَّ السماء الآن خضراءُ، وأنَّها تحوَّل يومَ القيامة لوناً آخر إلى الحمرة[٥].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ كالصوف دون تقييد، أو الأحمر، أو المصبوغ ألواناً، أقوالٌ، واختار جمعٌ الأخيرَ، وذلك لاختلاف ألوان الجبال، فمنها جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ وغرابيبُ سود، فإذا بُسَّت وطيِّرت في الجوِّ أشبهت العهنَ أي: المنفوش ـ كما في «القارعة»[٦] ـ إذا طيَّرته الريحُ.

وعن الحسن: تسير الجبال مع الرياح ثم تنهدُّ ثم تصير كالعهن ثم تُنسف فتصير هباءً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ أي: لا يسأل قريبٌ مشفِقٌ قريباً مشفقاً عن حاله، ولا يكلِّمُه؛ لابتلاء كلٍّ منهم بما يشغله عن ذلك، أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة[٧]. وفي رواية أخرى عنه: لا يسأله عن حاله؛ لأنَّها ظاهرةٌ. وقيل: لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيئاً ليأسه عن ذلك. وقيل: لا يسأله شفاعةً. وفي «البحر»[٨]: لا يسأله نصره ولا منفعته؛ لعلمه أنَّه لا يجد ذلك عنده. ولعلَّ الأول أبلغُ في التهويل.

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ٣٠.
(٢) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦.
(٣) في (م): متعلقه، بدل: من تعلقه.
(٤) مسند أحمد (١٩٤٦)، والمختارة ١٠/ ١٩-٢٠.
(٥) ينظر الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.
(٦) في قوله تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [الآية: ٥].
(٧) كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥.
(٨) ٨/ ٣٣٤.

وأيّاً ما كان فمفعول «يسأل» الثاني محذوفٌ. وقيل: «حميماً» منصوبٌ بنزع الخافض أي: لا يسأل حميمٌ عن حميمٍ.

وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي بخلاف عن ثلاثتهم «ولا يُسأل» مبنيًّا للمفعول(١)، أي: لا يُطلب من حميم حميمٌ، ولا يُكلَّفُ إحضاره، أو لا يُسأل منه حاله. وقيل: لا يُسأل ذنوب حميمه ليؤخذ بها.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يبصَّر الأحمَّاءُ الأحمَّاءَ، فلا يخفَوْن عليهم، وما يمنعهم من التساؤل إلَّا اشتغالُهم بحال أنفسهم، وقيل: ما يغني عنه من مشاهدة الحال، كبياض الوجه وسواده. ولا يخفى حالُه.

و«يُبصَّرونهم» قيل: من بَصّرتُه بالشيءِ: إذا أوضحتَه له حتى يُبْصره، ثم ضُمِّن معنى التعريف أو حذف الصلة إيصالاً. وجمع الضميرين لعموم الحميم.

والجملةُ استئنافٌ، كأنَّه لما قيل: «لا يسأل» إلخ قيل: لعلّه لا يبصره. فقيل: يبصَّرونهم. وجوّز أن تكون صفةً، أي: حميماً مبصَّرين معرَّفين إياهم. وأن تكون حالاً إمَّا من الفاعل أو من المفعول أو من كليهما، ولا يضرُّ التنكير لمكان العموم وهو مسوِّغٌ للحالية. ورُجِّحت على الوصفية بأن التقييد بالوصف في مقام الإطلاق والتعميمِ غيرُ مناسب، وليس فيها ذلك فلا تغفل.

وقرأ قتادة: «يبصِرونهم» مخفّفاً مع كسر الصاد(٢)، أي: يشاهدونهم.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ أي: يتمنى الكافر. وقيل: كلُّ مذنبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: العذاب الذي ابتُلي به يومئذ ﴿بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢﴾ حكايةٌ لودادتهم. و«لو» في معنى التمنيّ. وقيل: هي بمنزلة: «أنْ» الناصبة، فلا يكون لها جوابٌ، وينسبك منها وممَّا بعدها مصدرٌ يقع مفعولاً لـ «يودُّ»، والتقدير: يودُّ افتداءَه ببنيه.. إلخ.

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٤، والنشر ٢/ ٣٩٠، وينظر السبعة لابن مجاهد ص٦٥٠، والحجة للفارسي ٦/ ٣٢٠-٣٢١.

(٢) البحر ٨/ ٣٣٤، وضُبطت في القراءات الشاذة ص١٦١: «يُبْصَرونهم».

والجملة استئنافٌ لبيان أنَّ اشتغالَ كلِّ مجرم بنفسه بلغ إلى حيثُ يتمنَّى أن يَفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه، فضلاً أن يهتمَّ بحاله ويسأل عنها. وجوّز أن تكون حالاً من ضمير الفاعل على فرض أن يكون هو السائل، فإن فُرض أنَّ السائلَ المفعولُ فهي حالٌ من ضميره. وقيل: الظاهر جعلها حالاً من ضمير الفاعل؛ لأنَّه المتمنِّي. وأيّاً ما كان فالمراد: يودُّ المجرم منهم.

وقرأ نافع والكسائي ـ كما في «أنوار التنزيل» ـ والأعرج: «يومَئذٍ»[1] بالفتح على البناء؛ للإضافة إلى غير متمكِّنٍ، وقرأ أبو حيوة كذلك وبتنوين «عذاب»[2]، فـ «يومئذ» حينئذٍ منصوب بـ «عذاب» لأنَّه في معنى: تعذيب.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي: عشيرته الأقربين الذين فصل عنهم. كما ذكره غيرُ واحد. ولعلَّه أَولى من قول الراغب[3]: عشيرته المنفصلة عنه. وقال ثعلب: فصيلته: آباؤه الأَدْنَوْن.

وفسر أبو عبيدة الفصيلة بالفخذ[4] ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ أي: تضمُّه انتماءً إليها، أو لِياذاً بها في النوائب.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين الإنس والجنِّ، أو الخلائق الشاملة لهم ولغيرهم، و«مَنْ» للتغليب.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ عطفٌ على «يفتدي»، والضمير المرفوع للمصدر الذي في ضمن الفعل، أي: يودُّ لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداءُ. وجوَّز أبو حيان[5] عودَ الضمير إلى المذكور. والزمخشريُّ[6] عودَه إلى «من في الأرض». و«ثم» لاستبعاد

---

(١) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٨/ ٢٤٤، وهي في التيسير ٢١٤، والنشر ٢/ ٢٨٩ عن نافع والكسائي، وقرأ بها أبو جعفر أيضا، ولم نعثر على من نسبها إلى الأعرج.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦١.

(٣) في المفردات (فصل).

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، ونقل المصنف قوله وقول ثعلب عن البحر ٨/ ٣٣٠.

(٥) في البحر ٨/ ٣٣٤.

(٦) في الكشاف ٤/ ١٥٨.

الإنجاء، يعني يتمنَّى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبَذَلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك، وهيهات.

وقرأ الزهريُّ: «تؤويهُ» و«ينجيهُ» بضمِّ الهاءَين[١].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ للمجرم عن الودادة، وتصريحٌ بامتناع الإنجاء.

وضميرُ ﴿إِنَّهَا﴾ للنار المدلول عليها بذكر العذاب. وقوله تعالى ﴿لَظَىٰ ۝١٥﴾ خبر «إنَّ» وهي عَلَمٌ لجهنم، أو للدَرَكة الثانية من دَرَكاتها، منقولٌ من اللَّظى بمعنى اللَّهب الخالص، ومُنع الصرفَ للعلميَّة والتأنيث. وجُوِّز أن يراد اللَّهبُ على المبالغة، كأنَّ كلَّها لهبٌ خالص، وحذف التنوين إمَّا لإجراء الوصل مجرى الوقف، أو لأنَّه عَلَمُ جنسٍ معدولٌ عمَّا فيه اللَّامُ، كـ: سَحَر، إذا أردتَ سَحَراً بعينه.

وقوله تعالى ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ أي: الأطراف، كاليد والرجل، كما أخرجه ابن المنذر وابن حميد عن مجاهد وأبي صالح[٢]، وقاله الراغب[٣] وغيرُه.

وقيل: الأعضاء التي ليست بمقتل، ولذا يقال: رمى فأشوى، إذا لم يقتل.

أو جمعُ: شواةٍ، وهي: جلدة الرأس. وأنشدوا قول الأعشى:

قالت قُتيلَةُ ما لَهُ ... قد جُلِّلتْ شَيْباً شَواتُه[٤]

ورُوي هذا عن ابن عباس وقتادة وقرَّة بن خالد وابن جبير، وأخرجه ابن

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٤.

(٢) الذي أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد عن مجاهد ـ كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ـ: الشوى: جلود الرأس، وعن أبي صالح: الشوى: لحم الساقين. أمَّا تفسيرها بالأطراف، فعن مجاهد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ١٦٨، وعزاه له السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥، وعن أبي صالح وقد أخرجه ابن المنذر كما ذكر ذلك السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥.

(٣) في المفردات (شوى).

(٤) لم نقف عليه في ديوانه، ونسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، والطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٦١، وهو دون نسبة في تهذيب اللغة ولسان العرب (شوى).

أبي شيبة عن مجاهد[(١)]، وأخرج عن أبي صالح والسدّي تفسيرَها بلحم الساقين[(٢)]. وعن ابن جبير: العَصَب والعَقِب. وعن أبي العالية: محاسن الوجه.

وفُسِّر نزعُها لذلك بأكلها له فتأكله ثم يعود وهكذا.

نصب[(٣)] بتقدير: أعني أو أخصُّ، وهو مرادُ مَن قال: نُصب على الاختصاص للتهويل. وجُوِّز أن يكون حالاً، والعامل فيها «لظى» وإن كان عَلَماً؛ لمَا فيه من معنى التلظِّي كما عمل العَلَم في الظرف في قوله:

أنـا أبـو الـمِـنْـهـال بـعـضَ الأحـيـان[(٤)]

أي: المشهورُ بعضَ الأحيان، قاله أبو حيان[(٥)]، وإليه يشير كلام «الكشف»[(٦)]. وقال الخفاجي[(٧)]: لظى بمعنى متلظِّية، والحال من الضمير المستتر فيها لا منها بالمعنى السابق؛ لأنَّها نكرةٌ أو خبرٌ، وفي مجيء الحال من مثله ما فيه.

وقيل: هو حالٌ مؤكِّدةٌ كما في قوله:

---

(١) الذي في مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٨، عن مجاهد: الشوى: الأطراف، وتفسيرها بجلدة الرأس عن مجاهد عزاه السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٥ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) المصنف ١٣/ ١٦٨ عن أبي صالح فقط.

(٣) قوله: نصب، خبر لقوله: وقوله تعالى: «نزاعة للشوى».

(٤) وبعده: ليس عليَّ حَسَبي بضُؤْلان. وهو في: الشعر لأبي علي الفارسي ١/ ٢٥٠، والخصائص ٣/ ٢٧٠- وعقد له فصلاً - وتهذيب اللغة ١٢/ ٦٥ ونسبه لبعض بني أسد، ولسان العرب (ضأل)، والمغني ص٥٦٨، وشرح شواهد المغني للبغدادي ٦/ ٣١٨. قال البغدادي بعد نقله كلام أبي علي الفارسي وابن جني في تعليقهما على الشاهد: ومقتضى كلامهما أن أبا المنهال ليس صاحب الرجز، وليس كذلك، بل هو صاحب الرجز. . . . ورأيت في شرح «ديوان الفرزدق» أن أبا المنهال هو أبو عيينة بن المهلب. اهـ. والمنهال: الرجل الكثير الإنهال، والضؤلان: الضعيف الحقير كالضئيل. وقد تكلّم عليه البغدادي كلاماً جيداً فانظره.

(٥) في البحر ٨/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥.

(٧) في حاشيته على تفسير البيضاوي ٨/ ٢٤٤.

أنا ابنُ دَارةَ معروفاً بها نَسَبي ... وهل بدارةَ يالَلنَّاس من عارِ[١]

والعامل: أحقُّه[٢]، أو الخبر؛ لتأويله بمسمًّى، أو المبتدأ؛ لتضمُّنه معنى التنبيه، أو معنى الجملة. وارتضاه الرضي. وقيل: حال من ضمير «تدعو» قُدِّم عليه.

وجوَّز الزمخشريُّ[٣] أن يكون ضمير «إنَّها» مبهماً ترجم عنه الخبر، أعني: «لظى». وبحث فيه بما ردَّه المحقِّقون.

وقرأ الأكثرون: «نزاعةٌ» بالرفع[٤]، على أنَّه خبرٌ ثانٍ لـ «إنَّ»، أو صفةٌ لـ «لظى»، وهو ظاهرٌ على اعتبار كونها نكرةً، وكذا على كونها عَلَم جنسٍ؛ لأنَّه كالمعرَّف بلام الجنس في إجرائه مجرى النكرة، أو هو الخبر، و«لظى» بدلٌ من الضمير وإن اعتُبرت نكرةً؛ بناءً على أنَّ إبدال النكرة غيرَ منعوتةٍ من المعرفة قد أجازه أبو عليٍّ وغيرُه من النحاة إذا تضمَّن فائدةً كما هنا، وجوِّز على هذه القراءة أن يكون ضميرُ «إنَّها» للقصة، و«لظى» مبتدأ بناءً على أنَّه معرفةٌ، و«نزاعةٌ» خبره.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُوا۟﴾ خبر مبتدأ مقدَّر، أو: حالٌ متداخلة أو مترادفة أو مفردة، أو خبرٌ بعد خبر على قراءة الرفع، فلا تغفل.

والدعاء على حقيقته وذلك كما رُوي عن ابن عباس وغيره: يخلقُ الله تعالى فيها القدرةَ على الكلام كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم، فتناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. ورُوي أنَّها تقول لهم: إليَّ إليَّ يا كافرُ يا منافقُ.

---

(١) البيت لابن دارة، وهو سالم بن مسافع بن يربوع، ودارةُ أمُّه؛ سُمّيت بذلك لجمالها، تشبيهاً بدارة القمر. الشعر والشعراء ١/ ٤٠١-٤٠٣. والبيت في الكتاب ٢/ ٧٩، والخصائص ٢/ ٢٦٨ و٣/ ٦٠، وأمالي ابن الشجري ٣/ ٢٢، ولسان العرب (دبر)، وشرح ابن عقيل ١/ ٦٥٤، والخزانة ٣/ ٢٦٥ وفيه: مشهوراً.

(٢) يعني مضمراً، كما في حاشية الشهاب ٨/ ٢٤٤، وينظر باب الحال في شرح الرضي على الكافية.

(٣) في الكشاف ٤/ ١٥٨.

(٤) هي قراءة العشرة ما عدا عاصم في رواية حفص عنه. السبعة ص٦٥٠-٦٥١، والتيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠.

وجوَّز أن يراد به الجذبُ والإحضار، كما في قول ذي الرُّمَّة يصف الثور الوحشيَّ:

أمسى بِوَهْبَينِ مُجتازاً لمرتَعِه من ذي الفوارسِ تدعو أنفَهُ الرِّبَبُ(١)

ونحوه قوله أيضاً:

ليالِيَ اللَّهوُ يَطْبيني فأتبعه كأنَّني ضاربٌ في غَمْرة لَعِبُ(٢)

ولا يبعد أن يقال: شبَّه لياقتها لهم أو استحقاقهم لها - على ما قيل - بدعائها لهم، فعبَّر عن ذلك بالدعاء على سبيل الاستعارة.

وقال ثعلب: «تدعو»: تُهلِك، من قول العرب: دعاك الله تعالى، أي: أهلكك. وحكاه الخليل عنهم(٣). وفي «الأساس»(٤): دعاه الله تعالى بما يكره: أنزله به. وأصابتهم دواعي الدهر: صروفُه. ومن ذلك قوله:

دعاكَ اللهُ من(٥) رجلٍ بأفعى إذا نام العيونُ سَرَتْ عليكا(٦)

واستُظهر أنَّه معنًى حقيقيٌّ للدعاء، لكنَّه غيرُ مشهور. وفيه تردُّدٌ.

---

(١) البيت في ديوانه ١/ ٧٧، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٩٥٤، ولسان العرب (ربب)، وهو أحد أبيات قصيدته البائية المشهورة. ووهبين، وذو الفوارس: موضعين، الرِّبب: جمع رِبَّة: ضرب من الشجر أو النبت. قال شارح الديوان: لمّا شمَّ الثورُ الرِّبَبَ أتاها، وكأنها دعته إلى نفسها. اهـ. وجاء في هامش الأصل شرح لبعض الكلمات.

(٢) هو أيضاً أحد أبيات قصيدته البائية، وهو في ديوانه ١/ ٣٨، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٩٤٦، وفيه: ليالي الدهر، ولسان العرب (ضرب). قال شارح الديوان: يطبيني: يدعوني، وضارب: سابح، والغمرة: الماء الكثير. والمعنى: كأنني في غفلة وبُلهنيةٍ أسبحُ في الماء.

(٣) ينظر العين ٢/ ٢٢١، مادة (دعو).

(٤) مادة (دعو).

(٥) جاء في هامش الأصل: «مِنْ» تجريدية على ما قال الطيبي. منه.

(٦) البيت دون نسبة في العين (دعو)، وأساس البلاغة، ولسان العرب (دعا)، ورواية العين واللسان: من قيس، بدل: من رجل. والقيس هنا اسم من أسماء الذكر. وجاء في تهذيب اللغة ٣/ ١٢٣: قال أبو النجم:

رماك الله من عيش نافعي إذا نام العيون سرت عليكا

وجوّز أن يكون الدعاء لزبانيتها، وأُسند إليها مجازاً، أو الكلامُ على تقدير مضافٍ، أي: تدعو زبانيتُها.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ في الدنيا عن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ أعرض عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨﴾ أي: جمع المال فجعله في وعاءٍ وكَنَزه، ولم يؤدِّ حقوقه، وتشاغل به عن الدِّين وزُهِيَ باقتنائه حرصاً وتأميلاً. وهذا إشارةٌ إلى كفارٍ أغنياء، وما أخوفَ عبدَ الله بن عُكَيم[١]، فقد أخرج ابن سعد[٢] عن الحكم أنَّه قال: كان عبد الله بن عُكَيم لا يربطُ كيسَه، ويقول: سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ الهَلَع: سرعةُ الجزع عند مسِّ المكروه، وسرعةُ المنع عند مسِّ الخير، من قولهم: ناقة هَلُوع: سريعةُ السير.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير[٣] وغيرُهما عن عكرمة قال: سُئل ابن عباس عن الهَلُوع، فقال: هو كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ إلخ.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن الحسن أنَّه سُئل عن ذلك أيضاً فقرأ الآية.

وحُكي نحوه عن ثعلب قال: قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر[٥]: ما الهَلَعُ؟ فقلت: قد فسَّره الله تعالى، ولا يكون تفسيرٌ أبينَ من تفسيره سبحانه. يعني قولَه تعالى: (إِذَا مَسَّهُ) الآية.

ونظيرُ ذلك قولُه:

---

(١) عبد الله بن عُكيم الجهني، يُكنى أبا معبد، قيل: له صحبة. وأسلم بلا ريب في حياة النبي ﷺ (ت٨٨هـ). طبقات ابن سعد ٦/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٠.

(٢) تحرف في الأصل و(م) إلى: سعيد، والخبر أخرجه في الطبقات ٦/ ١١٤، وأخرجه أيضاً ابن جرير ٢٣/ ٢٦٥.

(٣) ابن جرير في تفسيره ٢٣/ ٢٦٦، وعزاه لهما السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) كما في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.

(٥) هو أبو العباس، الخزاعي، الأمير، كان شيخاً فاضلاً أديباً، ولي إمارة بغداد أيام المتوكل، توفي سنة (٢٥٣هـ). تاريخ بغداد ٥/ ٤١٨.

الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا[1]

والجملةُ المؤكَّدةُ في موضع التعليل لِمَا قبلها.

والإنسان: الجنس، أو الكافر، قولان، أُيِّد ثانيهما بما روى الطستيُّ عن ابن عباس أنَّ الآية في أبي جهل بن هشام[2]. ولا يأبى ذلك إرادةَ الجنس.

والشرُّ: الفقرُ والمرض ونحوهما. و«أل» للجنس، أي: إذا مسَّه جنس الشرِّ.

﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ أي: مبالغاً في الجَزَع، مكثراً منه.

والجزعُ؛ قال الراغب[3]: أبلغُ من الحزن، فإنَّ الحزن عامٌّ، والجزعُ حزنٌ يصرف الإنسان عمَّا هو بصدده[4] ويقطعه عنه. وأصلُه: قَطْعُ الحبل من نصفه، يقال: جزعْتُه فانجزَعَ، ولِتصوُّر الانقطاع فيه قيل: جَزْعُ الوادي: لمُنقطَعِه. ولانقطاع اللَّون بتغيّره قيل للخرز المتلوّن: جَزْعٌ. وعنه استُعير قولُهم: لحم مُجزَّعٌ: إذا كان ذا لونين. وقيل للبسرة إذا بلغ الإرطابُ نصفَها: مجزَّعةٌ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ المالُ والغنى، أو الصحة ﴿مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ مبالغاً في المنع والإمساك. و«إذا» الأولى ظرفٌ لـ «جزوعاً»، والثانية ظرفٌ لـ «منوعاً».

والوصفان ـ على ما اختاره بعض الأجلَّة ـ صفتان كاشفتان لـ «هلوعاً» الواقعِ حالاً كما هو الأنسبُ بما سمعتَ عن ابن عباس وغيره.

وقال غيرُ واحدٍ: الأوصافُ الثلاثةُ أحوالٌ، فقيل: مقدَّرة إن أُريد اتِّصافُ الإنسان بذلك بالفعل، فإنَّه في حال الخَلْق لم يكن كذلك وإنَّما حصل له ذلك بعد تمام عقله ودخوله تحت التكليف. ومحقَّقة إن أُريد اتِّصافه بمبدأ هذه الأمور من

---

(١) البيت لأوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٥٣، والكامل ٤/ ١٤٠٠. قال المبرد: الألمعيّ: الحديد اللسان والقلب، وقد أبانه بقوله: الذي يظن... إلخ.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.

(٣) في المفردات (جزع).

(٤) في الأصل و(م): بصدره، والمثبت موافق للمفردات، والكليات (جزع).

الأمور الجبلِّيَّة والطبائع الكليَّة المندرجة فيها تلك الصفاتُ بالقوة[1]. ولا مانع عند أهل الحقِّ من خلقِهِ تعالى الإنسانَ وطبعِهِ سبحانه إيَّاه على ذلك.

وفي زوالها بعدُ خلاف، فقيل: إنَّها تزول بالمعالجة، ولولاه لم يكن للمنع منها والنهي عنها فائدةٌ، وهي ليست من لوازم الماهيَة، فالله تعالى كما خلقها يزيلها. وقيل: إنَّها لا تزول، وإنَّما تُستَر ويُمنَعُ المرءُ عن آثارها الظاهرة كما قيل:

والـطـبـع فـي الإنـســان لا يـتـغـيَّـر[2]

وهذا الخلافُ جارٍ في جميع الأمور الطبيعية.

وقال بعضهم: الأمورُ التابعةُ منها لأصل المزاج لا تتغيَّر، والتابعة لعَرَضه قد تتغيَّر.

وذهب الزمخشريُّ[3] إلى أنَّ في الكلام استعارةً، فقال: المعنى أنَّ الإنسان لإيثاره الجزعَ والمنعَ وتمكُّنهما منه ورسوخهما فيه كأنَّه مجبولٌ عليهما مطبوع، وكأنه أمرٌ خَلْقيٌّ وضروريٌّ غيرُ اختياريٍّ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء:٣٧] لأنَّه في البطن والمهد لم يكن به هَلَعٌ ولأنَّه ذمٌّ، واللهُ تعالى لا يذمُّ فعله سبحانه، والدليل عليه استثناءُ المؤمنين الذين جاهدوا أنفسَهم وحملوها على المكاره وظَلَفوها[4] عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين.

وتُعقِّب بأنَّه في المهد أهلعُ وأهلعُ، فيسرع إلى الثدي ويحرص على الرَّضاع، وإنْ مسَّه ألمٌ جَزِعَ وبكى، وإن تمسَّك بشيءٍ فزُوحم عليه مَنَع بما في قدرته من اضطراب وبكاء، وفي البطن لا يُعلم حالُه، وأيضاً الاسم يقع عليه بعد الوضع، فما بعده هو المعتبر، وأنَّ الذمَّ من حيثُ القيام بالعبد كما حُقِّق في موضعه، وأنَّ الاستثناء: إمَّا منقطعٌ؛ لأنَّه لـمَّا وصف سبحانه: «من أدبر وتولى» معلِّلاً بهلعه

(١) القوة: هي التهيُّؤ الموجود في الشيء، معجم متن اللغة (قوي).
(٢) عجز بيت صدره: حبّي لكم طبعٌ بغير تكلُّفٍ. وهو في زهر الأكم ٣/ ٨٠ بلا نسبة.
(٣) في الكشاف ٤/١٥٨-١٥٩.
(٤) أي: منعوها، ووقع في (م): طلقوها.

وجزعه قال تعالى: لكنَّ المصلين في مقابلتهم أولئك في جناتٍ، ثم كرَّ على السابق وقال: «فمال الذين كفروا» بالفاء تخصيصاً بعدَ تعميمٍ، ورجعاً إلى بدءٍ؛ لأنَّهم من المستهزئين الذين افتتح السورة بذكر سؤالهم. أو: متصل على أنَّهم لم يستمرَّ خلقُهم على الهَلَع. فإنَّ الأول لمّا كان تعليلاً كان معناه: خلقاً مستمراً على الهَلَع والجزع إلَّا المصلِّين، فإنَّهم لم يستمرَّ خلقُهم على ذلك، فلا يرد أنَّ الهَلَع الذي في المهد لو كان مراداً لما صحَّ استثناءُ المصلين؛ لأنَّهم كغيرهم في حال الطفولية. انتهى.

وهذا الاستثناء هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ إلخ، وقد وصفهم سبحانه بما ينبئ عن كمال تنزُّههم عن الهَلَع: من الاستغراق في طاعة الحقِّ عز وجل، والإشفاقِ على الخَلْق، والإيمانِ بالجزاء، والخوفِ من العقوبة، وكَسْرِ الشهوة، وإيثارِ الآجل على العاجل، فقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: مواظبون على أدائها، لا يخلُّون بها، ولا يشتغلون عنها بشيءٍ من الشواغل.

وفيه إشارةٌ إلى فضل المداومة على العبادة، وقد أخرج ابن حبان[1] عن أبي سَلَمة قال: حدثتني عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُذوا من العمل ما تطيقون، فإنَّ الله تعالى لا يملُّ حتى تملُّوا». قالت: فكان أحبُّ الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما دام عليه، وإن قلَّ، وكان إذا صلَّى صلاةً دام عليها، وقرأ أبو سلمة: (ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ).

وأخرج أحمد في «مسنده»[2] عنها أنَّها قالت: كان عملُه ﷺ ديمةً. قال جار الله: أي: ما فعل من أفعال الخير إلَّا وقد اعتاد ذلك، ويفعله كلَّما جاء وقته. ووُجِّه بأنَّ الفعلة للحالة التي يستمرُّ عليها الشخص. ثم في جعلِه نفسَ الحالة ما لا يخفى من المبالغة والدلالةِ على أنَّه كان مَلَكةً له عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في صحيحه (٣٥٣)، وأخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم في كتاب الصيام (٧٨٢): (١٧٧).
(٢) برقم (٢٤١٦٢)، وأخرجه أيضاً البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

وقيل: دائمون، أي: لا يلتفتون فيها، ومنه: الماء الدائم. وروي ذلك عن عمران بن حصين، وكذا عن عقبة بن عامر، أخرج ابن المنذر[١] عن أبي الخير أنَّ عقبةَ قال لهم: مَن الذين هم على صلاتهم دائمون؟ قال: قلنا: الذين لا يزالون يصلُّون. فقال: لا، ولكن الذين إذا صلُّوا لم يلتفتوا عَن يمينٍ ولا شمال. وإليه ذهب الزجاج[٢]. فتُشعر الآيةُ بذمِّ الالتفات في الصلاة، وقد نطقت الأخبار بذلك. واستدلَّ بعضُهم بها على أنَّه كبيرةٌ، وتحقيقُه في «الزواجر»[٣].

وعن ابن مسعود ومسروق أنَّ دوامها أداؤُها في مواقيتها. وهو كما ترى، ولعلَّ تركَ الالتفات والأداءَ في الوقت يتضمنه ما يأتي من المحافظة إن شاء الله تعالى.

والمراد بالصلاة على ما أخرج عبد بن حميد[٤] عن إبراهيم التيميِّ: الصلاةُ المكتوبة. وعن الإمام أبي جعفر رضي الله عنه أنَّ المراد بها النافلة. وقيل: ما أُمروا به مطلقاً منها.

وقرأ الحسن: «صلواتهم» بالجمع[٥].

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ أي: نصيبٌ معيَّن يستوجبونه على أنفسهم؛ تقرُّباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس. وهو على ما رُوي عن الإمام أبي عبد الله رضي الله عنه ما يوظِّفه الرجل على نفسه يؤدِّيه في كلِّ جمعةٍ أو كلِّ شهر مثلاً.

وقيل: هو الزكاة؛ لأنَّها مقدَّرةٌ معلومة. وتعقِّب بأنَّ السورة مكيةٌ، والزكاةُ إنما فُرضت وعُيِّن مقدارُها في المدينة، وقبل ذلك كانت مفروضةً من غير تعيين.

﴿لِلسَّائِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ الذي لا يسأل، فيُظنُّ أنَّه غنيٌّ فيُحرَم. واستعمالُه في ذلك على سبيل الكناية، ولا يصحُّ أن يراد به مَن يحرمونه بأنفسهم؛ للُزوم التناقض كما لا يخفى.

---

(١) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.
(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٢٢.
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٣٦-١٣٧.
(٤) عزاه له السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٦.
(٥) البحر ٨/ ٣٣٥.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ المراد: التصديقُ به بالأعمال حيثُ يُتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية طمعاً في المثوبة الأُخروية؛ لأنَّ التصديق القلبيَّ عامٌّ لجميع المسلمين لا امتياز فيه لأحدٍ منهم، وفي التعبير بالمضارع دلالةٌ على أنَّ التصديق والأعمال تتجدَّدُ منهم آناً فآناً.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة؛ استقصاراً لها واستعظاماً لجنابه عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقولُه سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ اعتراضٌ مؤذِنٌ بأنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يأمنَ عذابَه عز وجل وإن بالغ في الطاعة كهؤلاء، ولذا كان السلف الصالح - وهم هم - خائفين وَجِلين، حتى قال بعضُهم: يا ليتني كنت شجرةً تُعضَد. وآخرُ: ليت أمِّي لم تلدني. إلى غير ذلك.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ سبق تفسيرُه في سورة المؤمنين[1] على وجهٍ مستوفًى، فتذكَّره.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يُخلُّون بشيءٍ من حقوقها، وكأنَّه لكثرة الأمانة جُمعت، ولم يجمع العهد، قيل: إيذاناً بأنَّه ليس كالأمانة كثرةً. وقيل: لأنَّه مصدرٌ. ويدلُّ على كثرة الأمانة ما روى الكلبيُّ: كلُّ أحدٍ مؤتمَنٌ على ما افتُرض عليه من العقائد والأقوال والأحوال والأفعال، ومن الحقوق في الأموال، وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والمملوكين والجار وسائر المسلمين. وقال السديُّ: إنَّ حقوق الشرع كلَّها أماناتٌ قد قبلها المؤمن، وضمن أداءها بقبول الإيمان.

وقيل: كلُّ ما أعطاه الله تعالى للعبد من الأعضاء وغيرها أمانة عنده، فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لأجله، وأذن سبحانه له به، فقد خان الأمانة.

---

(١) ١٨/ ١٥.

والخيانةُ فيها وكذا الغدر بالعهد من الكبائر على ما نصَّ غيرُ واحدٍ، وقد روى البخاريُّ ومسلم(١) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يَدَعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وأخرج البيهقيُّ في «شعب الإيمان»(٢) عن أنس قال: ما خطبَنَا رسولُ الله ﷺ إلَّا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

وقرأ ابن كثير: «لأمانتهم» بالإفراد(٣) على إرادة الجنس.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ مقيمون لها بالعدل غيرُ منكرين لها أو لشيءٍ منها، ولا مخفين؛ إحياءً لحقوق الناس فيما يتعلَّق بها، وتعظيماً لأمر الله عز وجل فيما يتعلَّق بحقوقه سبحانه.

وخصَّ بعضُهم الشهادةَ بما يتعلَّق بحقوق العباد، وذكر أنَّها مندرجة في الأمانات إلَّا أنَّها خُصَّت بالذكر لإبانة فضلها، وجَمعها لاختلاف الأنواع، ولو لم يعتبر ذلك أفْردَ على ما قيل؛ لأنَّها مصدر شامل للقليل والكثير.

وقرأ الجمهور بالإفراد(٤) على ما سمعتَ آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ أي: يراعون شرائطها، ويكملون فرائضها وسننها ومستحبَّاتها، باستعارة الحفظ من الضياع للإتمام والتكميل، وهذا غيرُ الدوام فإنَّه يرجع إلى أنفُس الصلوات، وهذا يرجع إلى أحوالها، فلا يتكرَّر مع ما سبق من قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ)، وكأنَّه لمَّا كان ما يراعى في إتمام الصلاة وتكميلها ممَّا يتفاوت بحسب الأوقات جيء بالمضارع الدالّ على التجدُّد، كذا قيل. وقيل: إنَّ الإتيان به مع تقديم «هم» لمزيد الاعتناء بهذا الحكم،

(١) صحيح البخاري (٣٤)، وصحيح مسلم (١٠٦).
(٢) برقم (٤٣٥٤).
(٣) التيسير ص١٥٨، والنشر ٢/ ٣٢٨.
(٤) التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩١ وقرأ بالجمع عاصم في رواية حفص، ويعقوب.

لِمَا أنَّ أمر التقوى في مثل ذلك أقوى منه في مثل: هم محافظون، واعتبر هذا هنا دون ما في الصدر؛ لأنَّ المراعاة المذكورة كثيراً ما يُغفَل عنها.

وفي افتتاح الأوصاف بما يتعلَّق بالصلاة واختتامها به دلالةٌ على شرفها وعلوِّ قَدْرِها؛ لأنَّها معراج المؤمنين ومناجاة ربِّ العالمين، ولذا جُعلت قُرَّة عين سيِّد المرسلين صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

وتكريرُ الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلةَ اختلاف الذوات؛ إيذاناً بأنَّ كلَّ واحد من الأوصاف المذكورة نعتٌ جليل على حياله، له شأنٌ خطير مستتبعٌ لأحكامٍ جمَّةٍ حقيقٌ بأن يفردَ له موصوفٌ مستقلٌّ ولا يجعل شيء منها تتمَّةً للآخر.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفين بما ذُكر من الصفات، وما فيه من معنى البعد لبعد المشار إليهم، إمَّا في الفضل أو في الذكر باعتبار مبدأ الأوصاف المذكورة. وهو مبتدأ، خبرُه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: مستقرُّون في جناتٍ لا يُقادَر قدرُها ولا يُدرَك كُنهها.

وقوله تعالى ﴿مُّكْرَمُونَ ٣٥﴾ خبرٌ آخر، أو هو الخبر، و«في جنات» متعلِّقٌ به قُدِّم عليه للاهتمام مع مراعاة الفواصل، أو بمضمَرٍ هو حال من الضمير في الخبر، أي: مكرمون كائنين في جنات.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ أي: في الجهة التي تليك ﴿مُهْطِعِينَ ٣٦﴾ مسرعين نحوك، مادِّي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك؛ ليظفروا بما يجعلونه هُزُؤاً.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ جماعاتٍ في تفرقة، كما قال أبو عبيدة[٢]، وأنشدوا قولَ عبيد بن الأبرص:

فجاؤوا يُهْرعُون إليه حتى ... يكونوا حولَ منبره عِزينا[٣]

وخصَّ بعضُهم كلَّ جماعة بنحو ثلاثة أشخاص أو أربعة.

---

(١) أخرج النسائي ٧/ ٦١-٦٢، وأحمد (١٢٢٩٣) من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ النساء والطيبُ، وجُعل قُرَّة عيني في الصلاة».

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠.

(٣) لم نقف عليه في ديوانه، وذكره السيوطي في الإتقان ١/ ٣٨٣.

جمع: عِزَة، وأصلها عزوة من العزِّ، ولأنَّ كلَّ فرقة تعتزي وتنتسب إلى غيرِ مَن تعتزي إليه الأخرى، فلامُها واوٌ. وقيل: لامُها هاءٌ، والأصل: عِزْهة، وجُمعت بالواو والنون كما جُمعت سَنَة وأخواتها، وتُكسر العين في الجمع وتضمُّ. وقالوا: عِزًى، على فِعَل، ولم يقولوا: عِزَات.

ونصب «عزين» على أنَّه حال من «الذين كفروا»، أو من الضمير في «مهطعين» على التداخل، و«عن اليمين» إمَّا متعلِّقٌ به لأنَّه بمعنى متفرِّقين، أو «بمهطعين» أي: مسرعين عن الجهتين، أو هو حالٌ أي: كائنين عن اليمين.

رُوي أنّه عليه الصلاة والسلام كان يصلِّي عند الكعبة ويقرأ القرآن، فكان المشركون يجتمعون حوله حلقاً حلقاً[١]، وفرقاً فرقاً[٢]، يستمعون ويستهزئون بكلامه عليه الصلاة والسلام، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنةَ كما يقول محمد ـ ﷺ ـ فَلَنَدْخُلنَّها قبلهم، فنزلت[٣].

وفي بعض الآثار ما يشعر بأنَّ الأَوْلَى أن لا يجلسَ المؤمنون عِزين؛ لأنَّه من عادة الجاهلية.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: بلا إيمان، وهو إنكارٌ لقولهم: إنْ دخل هؤلاء الجنةَ.. إلخ.

وقرأ ابن يعمر والحسن وأبو رجاء وزيد بن عليٍّ وطلحة والمفضّل عن عاصم: «يَدخل» بالبناء للفاعل[٤].

﴿كَلَّآ﴾ رَدْعٌ لهم عن ذلك الطمع الفارغ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ قيل: هو تعليل للردع، و«من» أَجْليَّة، والمعنى: إنَّا خلقناهم من أجل ما يعلمون، وهو تكميلُ النفس بالإيمان والطاعة، فمَن لم يستكملها بذلك فهو بمعزلٍ من أن يتبوّأ

---

(١) ضبطها في الأصل بفتح الحاء وكسرها.
(٢) لفظ: فرقاً، ليست في (م)، وفي الأصل فوقها: صح.
(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤.
(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وذكر قراءةَ المفضل عن عاصم ابنُ مجاهد في السبعة ص٦٥١.

مُتبوَّأ الكاملين، فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبُّون على الكفر والفسوق وإنكار البعث؟! وكونُ ذلك معلوماً لهم باعتبار سماعهم إيَّاه من النبيِّ ﷺ.

وقيل: «مِن» ابتدائية، والمعنى: إنَّهم مخلوقون من نطفةٍ قذرةٍ لا تناسب عالَم القدس، فمتى لم تُستكمل بالإيمان والطاعة، ولم تتخلَّق بأخلاق الملائكة عليهم السلام، لم تستعدَّ لدخولها. وكلا القولين كما ترى.

وقال مفتي الديار الرومية[١]: إنَّ الأقرب كونُه كلاماً مستأنفاً، قد سيق تمهيداً لِمَا بعده من بيان قدرته عز وجل على أن يهلكَهم لكفرهم بالبعث والجزاء، واستهزائهم برسول الله ﷺ وبما نزل عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الوحي، وادِّعائهم دخولَ الجنة بطريق السخرية، وينشئَ بدلهم قوماً آخرين، فإنَّ قدرتَه سبحانه على ما يعلمون من النشأة الأولى حجَّةٌ بيِّنةٌ على قدرته عز وجل على ذلك، كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ أي: إذا كان الأمر كما ذكرنا من أنَّ خلقَهم مما يعلمون، وهو النطفةُ القذرة، فلا[٢] أقسم بربِّ المشارق والمغارب: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: نهلكهم بالمرَّة، حسبما تقتضيه جناياتهم، ونأتي بَدَلهم بخلقٍ آخرين ليسوا على صفتهم. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾ أي: بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكنَّ مشيئتَنا المبنية على الحِكَم البالغة اقتضت تأخيرَ عقوباتهم.

وفيه نوعُ بعدٍ. ولعلَّ الأقربَ كونُه في معنى التعليل، لكن على وجه قرَّر به صاحب «الكشف» كلام «الكشاف»[٣]، فقال: أراد أنَّه رَدْعٌ عن الطمع، معلَّلٌ بإنكارهم البعثَ من حيثُ إنَّ ذكرَ دليله إنَّما يكون مع المنكِر، فأقيم علَّةُ العلَّة مقام العلَّة مبالغةً لما حُكي عنهم طمعُ دخول الجنة، ومن البديهي أنَّه ينافي حالَ مَنْ لا يثبتها، فكأنَّه قيل: إنَّه ينكر البعثَ فأنَّى يتَّجه طمعُه؟ واحتجَّ عليهم بخلقهم أولاً، وبقدرته سبحانه على خَلْق مثلهم ثانياً. وفيه تهكُّمٌ بهم وتنبيهٌ على مكان مناقضتهم،

---

(١) هو أبو السعود، والكلام من تفسيره ٨/ ٣٤.

(٢) في تفسير أبي السعود ٨/ ٣٥: فأقسم.

(٣) ينظر الكشاف ٤/ ١٦٠.

فإنَّ الاستهزاءَ بالساعة والطمعَ في دخول الجنة ممَّا يتنافيان.

ووجهُ أقربيَّته قوَّةُ الارتباط بما سبق عليه، وهو في الحقيقة أبعدُ مغزًى، ومنه يُعلم أنَّ ما قيل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ إلخ، أنَّ معناه: إنَّا لقادرون على أنْ نعطيَ محمداً ﷺ مَنْ هو خيرٌ منهم، وهم الأنصارُ = ليس بذاك.

وفي التعبير عن مادة خَلْقهم بما يعلمون مما يكسر سَوْرة المتكبِّرين ما لا يخفى.

والمراد بالمشارق والمغارب: مشارقُ الشمس المئة والثمانون، ومغاربُها كذلك. أو مشارقُ ومغاربُ الشمس والقمر على ما رُوي عن عكرمة. أو مشارقُ الكواكب ومغاربُها مطلقاً كما قيل.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد: ربُّ المخلوقات بأسرها.

والكلامُ في «فلا أقسم» قد تقدم[١]. وقرأ قومٌ: «فلأقسم»[٢] بلام دون ألف. وعبدُ الله بن مسلم وابن محيصن والجحدريُّ: «المشرق والمغرب» مفردَيْن[٣].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخلِّهم غيرَ مكترثٍ بهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم الذي من جملته ما حُكي عنهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾ هو يومُ البعث عند النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، فإنَّه بدلٌ من «يومهم»، وهو مفعول به لـ «يلاقوا». وتفسيرُه بيوم موتهم أو يوم بدر أو يوم النفخة الأولى، وجعلُ «يوم» مفعولاً به لمحذوف كـ: اذكر، أو متعلّقاً بـ «ترهقهم ذلة» = مما لا ينبغي أن يُذهب إليه. وما في الآية من معنى المهادنة منسوخٌ بآية السيف.

وقرأ أبو جعفر وابن محيصن: «يَلْقَوْا»[٤] مضارع: لقي، وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: «يُخرَجون»[٥] على البناء للمفعول، من الإخراج.

---

(١) ٢٧/ ١٥٢.
(٢) البحر ٨/ ٣٣٦، وهي قراءة الحسن وعيسى، ينظر ٢٧/ ١٥٢.
(٣) البحر ٨/ ٣٣٦.
(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وقراءة أبي جعفر ـ من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٩١.
(٥) البحر ٨/ ٣٣٦، ونسبها ابن خالويه في الشواذ ص١٦١ لعليٍّ رضي الله عنه.

﴿سِرَاعًا﴾ أي: مسرعين، وهو حالٌ من مرفوع «يخرجون»، وهو جمعُ: سريع، كظريف وظِراف.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وهو ما نُصِبَ فعُبدَ من دون الله عز وجل، وعدَّه غيرُ واحد مفرداً، وأنشد قولَ الأعشى:

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه ... لعاقبة واللهَ ربَّك فاعْبُدا[1]

وقال بعضهم: هو جمعُ: نِصاب، ككتاب وكُتب. وقال الأخفش: جمعُ: نَصْب، كَرَهْن ورُهُن، والأنصابُ جمعُ الجمع[2].

وقرأ الجمهور: «نَصْب» بفتح النون وسكون الصاد[3]، وهو اسمٌ مفرد، فقيل: الصنم المنصوب للعبادة، أو العَلَم المنصوب على الطريق ليهتدي به السالكُ. وقال أبو عمرو: هو شبكة يقع فيها الصيد، فيسارع إليها صاحبُها مخافةَ أن يتفلَّت الصيدُ. وقيل: ما يُنصب علامةً لنزول الملك وسَيْره.

وقرأ أبو عمران الجوني ومجاهد: «نَصَب» بفتح النون والصاد[4]، فَعَل بمعنى مفعول.

وقرأ الحسن وقتادة: «نُصْب» بضمِّ النون وسكون الصاد[5]، على أنه تخفيف نُصُب بضمَّتين، أو جمع: نَصَب بفتحتين كوَلَد ووُلْد.

﴿يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يسرعون، وأصلُ الإيفاض كما قال الراغب[6]: أن يعدو مَنْ عليه الوَفْضَة ـ وهي الكنانة ـ فتَخَشْخَش عليه، ثم استُعمل في الإسراع.

---

(١) ديوان الأعشى ص١٨٧، والصحاح واللسان وتاج العروس (نصب). ورواية اللسان: لعافية. وعجزه في الديوان: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا. قال في اللسان: وقوله: وذا النُّصُبَ، بمعنى: إياك وذا النُّصُبَ. وفاعبدا: أراد: فاعبدنْ، فوقف بالألف.

(٢) وذكره أبو حيان في البحر ٨/ ٣٣٦.

(٣) هي قراءة العشرة ما عدا ابن عامر، وعاصم في رواية حفص، التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩١.

(٤) البحر ٨/ ٣٣٦، وتحرف الجوني في الأصل و(م) إلى: الحوفي.

(٥) البحر ٨/ ٣٣٦، ونسبها ابن خالويه في الشواذ ص١٦١ لأبي العالية.

(٦) في المفردات (وفض).

وقيل: هو مطلق الانطلاق. ورُوي عن الضحاك. والأكثرون على الأول.

والمراد أنَّهم يخرجون مسارعين إلى الداعي، يسبق بعضُهم بعضاً.

والإسراع في السير إلى المعبودات الباطلة كان عادةً للمشركين، وقد رأينا كثيراً من إخوانهم الذين يعبدون توابيتَ الأئمَّة ونحوهم ﷺ كذلك، وكذا عادةُ من ضلَّ الطريق أن يسرع إلى أعلامها، وعادةُ الجند أن يسرعوا نحو منزل المَلِك.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لِعِظَم ما تحقَّقوه، ووُصفت أبصارُهم بالخشوع مع أنَّه وصف الكلِّ؛ لغاية ظهور آثاره فيها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ شديدةٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: في الدنيا. واسمُ الإشارة مبتدأ، و«اليوم» خبرٌ، والموصولُ صفته، والجملةُ بعدَه صلته، والعائدُ محذوفٌ، أي: يوعدونه.

وقرأ عبد الرحمن بن خلَّاد، عن داود بن سالم، عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن، عن التمَّار: «ذلَّةُ» بغير تنوين مضافاً إلى «ذلك اليوم» بالجرِّ(١).

هذا، واعلم أنَّ بعض المتصوِّفة في هذا الزمان ذكر في شأن هذا اليوم الذي أخبر الله تعالى أنَّ مقداره خمسون ألف سنة أنَّ المراتب أربعٌ: الملك، والملكوت، والجبروت، واللَّاهوت، وكلُّ مرتبة عليا محيطةٌ بالسفلى، وأعلى منها بعشر درجات؛ لأنَّها تمامُ المرتبة؛ لأنَّ الله تعالى خَلَق الأشياء من عشر قَبَضات، يعني من سرِّ عشر مراتب الأفلاك التسعة، والعناصرُ في كلِّ عالم بحسبه، ولذا ترتَّبت مراتب الأعداد على الأربع، والألفُ منتهى المراتب وأقصى الغايات، ولمَّا كانت النسبة إلى الربِّ - أي: إلى وِجْهَة الحقِّ - هي الغايةَ القصوى بالنسبة إلى ما عداها ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] كان اليومُ الواحد المنسوب إليه ألفاً، ولذا كان اليوم الربوبيُّ ألفَ سنة كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فإذا ترقَّى الكون، واقتضت الحكمة ظهورَ النشأة الأخرى، وبرز آثارُ الاسم الأعظم في مقام الألوهية في رتبة الجامع، ظهر الكون

---

(١) البحر ٨/ ٣٣٦.

والأكوان والمكنونات في محشرٍ واحدٍ على مراتبها في الأعيان، فظهر سرُّ النون من كلمة ﴿كُن﴾ لظهور ﴿فَيَكُونُ﴾ فظهر الخمسون في العَوْد كما نزل في البدء، وهو قوله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] فكان اليوم الواحد عند ظهور الاسم الأعظم في الجهة الجامعة خمسين ألف سنة، فالألف لترقِّي الواحد، ولمَّا كانت المراتب خمسين كان خمسين ألفاً، والخمسون: تفاصيلُ ظهور اسم الربِّ عند ظهور اسم الله في عالم الأمر الذي هو أول مراتب التفصيل في قوله تعالى: ﴿كُن﴾ وكان أول ظهور التفصيل خمسين؛ لأنَّ التوحيد الظاهر في النقطة والألف والحروف والكلمة التامَّة والدلالة التي هي تمام الخمسة إنَّما كانت في عَشرةِ عوالم المراتب التعيّنات، أو لأنَّ الطبائع الأربع مع حصول المزاج بظهور طبيعة خامسة وبها تمام الخمسة إنَّما كانت في عشرة عوالم بحسبها، فكان المجموع خمسين. والعوالمُ العشرة هي: عالم الإمكان، وعالم الفؤاد، وعالم القلب، وعالم العقل، وعالم الروح، وعالم النفس، وعالم الطبيعة، وعالم المادة، وعالم المثال، وعالم الأجسام. والخمسون في وجه الربِّ، ووجهة الحقِّ في العالم الأول الذي هو الآخر تكون خمسين ألف سنة. انتهى.

فإن فهمتَ منه معنًى صحيحاً تقبلُه ذوو العقول، ولا يأباه المنقول، فذاك، وإلَّا فاحمد الله تعالى على العافية، واسأله عزَّ وجلَّ التوفيق للوصول إلى معالم التحقيق.

وللشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه أيضاً كلامٌ في هذا المقام، فمن أراده فليتتبَّع كتبه، وليسأل الله تعالى الفتوحات، وهو سبحانه وليُّ الهبات.